المغرب

الجزء العاشر من المجلد الثاني

شوال سنة ١٣٢٥ الموافق نوفمبر (تشرين ثاني) سنة ١٩٠٧

صدور المشارقة والمغاربة

لسان الدين ابن الخطيب

٦٧٧ — ٧١٣

قلما يتأتى لعالم وَلي المناصب الرفيعة في الدول ان يبارك له في وقته فيجمع على أحسن وجه القيام باعبائها الى الاعمال العلمية . والامارة والعلم قلما يجتمعان وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه . من اجل هذا رأينا مثل ابن حزم وابن الهيثم يزهدان في الوزارة بل يحتالان الى الخلاص من توليها علماً منهما بانها صارفة لهما عن التمحض لخدمة العلم والتوفر على التصنيف . وقلّ في رجال هذه الامة من جمعوا بين المزيتين ولاية الاعمال وصرف اوقات الفراغ في التصنيف ونُمية ملكة العلم على ما كان شأن القاضي الفاضل ولسان الدين ابن الخطيب

فمترجمنا هذا هو احد مفاخر الاندلس ونوابغها علماً وعملاً لم تُلهه اعمال الوزارة عن النظر في علوم كان السبيل في وصوله اليها وساعده زيادة على ما كان يحافظ عليه من اوقاته انه كان مبتلىً بالارق يسهر الليل الا اقله ولذلك قيل له ذو العمرين لانه كان يعمل في ليله كما يعمل في نهاره . فلا عجب بعد هذا ان عدت مصنفاته بستين مصنفاً لو خلف بعضها عالم انقطع للعلم جملة لعدت غريبة في بابها فما بالك بابن الخطيب يتولى امور الناس والاندلس قد اشرفت على السقوط والفتن بين الامراء على ساق وقدم والدسائس عليه من كل جهة

يكتب ويفكر وقد ترجمه ابن خلدون فقال : اصل هذا الرجل من لوشة على مرحلة من غرناطة كان له بها سلف معروفون في وزارتها وانتقل ابو عبدالله الى غرناطة واستخدم لملوك بني الاحمر واستعمل على مخازن الطعام ونشأ ابنه محمد هذا بغرناطة وقرأ وتأدب على مشيختها واختص بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هذيل واخذ عنه العلوم الفلسفية وبرز في الطب وانتحل الادب وأخذ عن أشياخه وامتلأ حوض السلطان من نظمه ونثره مع انتقاء الجيد منه وبلغ في الشعر والترسيل حيث لا يجارى فيهما .

وامتدح السلطان ابا الحجاج من ملوك بني الاحمر وملأ الدولة بدايحه وانتشرت في الآفاق قدماه فرقاه السلطان الى خدمته واثبته في ديوان الكتاب بابه مرؤسًا بابي الحسن ابن الحباب شيخ العدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الادبية ولما هلك ابن حباب سنة تسع واربعين وسبعمائة ولى السلطان ابو الحجاج يومئذ محمد بن الخطيب هذا رياسة الكتاب بابه وثناه بالوزارة ولقبه بها فاستقل بذلك وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ثم داخله السلطان في تولية العمال على يديه بالمشاركات فجمع له بها أموالاً وبلغ به المخالصة الى حيث لم يبلغ بأحد من قبله وسفر عنه الى السلطان ابي عنان ملك بني مرين بالعدوة معزيًا بأبيه السلطان ابي الحسن فجلى في اغراض سفارته . ثم هلك السلطان ابو الحجاج وبويع ابنه محمد بالامر لوقته فأفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لابيه واتخذ لكتابته غيره وجعل ابن الخطيب رديفًا له في أمره وتشاركا في الاستبداد معًا . ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيرًا الى السلطان ابي عنان مستمدين له على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس وفقهائها استأذنه في انشاد شيء من الشعر يقدمه بين يدي نجواه فاذن له وانشد وهو قائم ابياتًا اهتز السلطان لها فاذن له في الجلوس وقال له قبل ان يجلس : ما ترجع اليهم الا بجميع عطائهم . ثم انقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع مطالبهم . قال القاضي ابو القاسم الشريف : لم يسمع بسفير قضى سفارته قبل ان يسلم على السلطان الا هذا . وبعد ذلك اعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه في محبسه الى ان شفع فيه ثم سار في ركاب السلطان الى وادي آش قادمين على السلطان ابي سالم فارغد هذا عيش ابن الخطيب في الجراية والاقطاع ثم استأذنه السلطان في التحول الى جهات مراكش والوفود على آثار الملك بها فاذن له وكتب الى العمال بالتحافه فبادروا في ذلك وحصل منه على حظ وعند مأمنًا بسلا في قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بشالة ووقف على قبر السلطان ابي الحسن وانشد قصيدته على روية الراء الموصولة يرثيه ويستثير

ه استرجع نفسه هذه المطلع

ان بان منزله وشطت داره قامت مقام عيانه اخباره
فتسم زمانك عبرة او غبرة هـذا ثراه وهـذه آثاره

فكتب السلطان ابو سالم في ذلك الى اهل الاندلس بالشفاعة فشفعوه واستقر هو بسلا منتبذاً عن سلطانه طول مقامه بالعدوة ثم عاد السلطان محمد المخلوع الى ملكه بالاندلس فاستقدم ابن الخطيب من سلا ورده الى منزلته كما كان . وبعد ذلك فصل عن الوزارة ثم أُعيد الى مكانه من الدولة من علو يده وقبول اشارته وادركته الغيرة من عثمان بن يحيى مقدم القوم في الدولة ونكر على السلطان الاستكفاء به والتخوف من هؤلاء الاعياص على ملكه فحذره السلطان واخذ في التدبير عليه حتى نكبه وابناه واخوته واودعهم المطبق ثم غرّبهم بعد ذلك وخلا لابن الخطيب الجوّ وغلب على هوى السلطان واخذ ودفع اليه تدبير المملكة وخلط بينه بندمائه واهل خلوته وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه وعلقت عليه الآمال وغشي بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على السعاية فيه وقد صمّ السلطان عن قبولها وانما الخبر بذلك الى ابن الخطيب فشمر عن ساعده في التفويض عنهم .

وفي خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة من القدح فيه والسعاية وربما خيل ان السلطان مال الى قبولها وانهم قد احفظوه عليه فاجمع التحول عن الاندلس الى المغرب واستأذن السلطان في تفقد الثغور الغربية وسار اليها في لمة من فرسانه ومعه ابنه علي الذي كان خالصة السلطان وذهب لطيته فلما حاذى جبل الفتح فرضة الجاز الى العدوة مال اليه اذ ندّ بين يديه فخرج قائد الخيل لتلقيه وقد كان السلطان عبد العزيز لما العدوة قد اوعز اليه بذلك وجهز اليه الاسطول من حينه فاجاز الى سبتة وتلقاه بها بانواع التكرمة وامتثال الاوامر ثم سار بقصد السلطان فامتزت له الدولة واركب السلطان خاصته لتلقيه واحله بمجلسه بمحل الامن والغبطة ومن دولته بمكان الشرف والعزة واخرج لوقته كاتبه ابا يحيى بن ابي مدين سفيراً الى الاندلس في طلب اهله وولده فجاء بهم على اكمل الحالات من الامن والتكرمة

ثم لغط المنافسون له في شأنه واغروا سلطانه بتتبع عثراته وابدوا ما كان كامناً في نفسه من سقطات دابته واحصاء عصابته وشاع على السنة اعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة احصوها عليه ونسبوها اليه ورفعت الى قاضي الحضرة الحسن بن الحسن فاستراعها وسجل عليه بالزندقة وراجع صاحب الاندلس رأيه فيه وبعث القاضي ابو الحسن الى السلطان عبد العزيز في الانتقام منه بتلك السجلات وامضاء حكم الله فيه فصمّ لذلك وانف لذمته

ان تخفر وجواره ان يردى وقال لهم: «هلاّ انتقمتم وهو عندكم وانتم عالمون بما كان عليه واما انا فلا يخلص اليه بذلك احد ما كان في جواري ثم رفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من فرسان الاندلس في جملته فلما ملك السلطان عبدالعزيز سنة اربع وسبعين سار هو في ركاب الوزير ابي بكر بن غازي القائم بالدولة فنزل فاس واستكثر من شراء الضياع وتأنق في بناء المساكن واغتراس الجنات وحفظ له القائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى. ولما استولى السلطان ابو العباس على البلد الجديد دار ملكه قبض على ابن الخطيب واودعوه السجن وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر فبعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب وهو ابو عبد الله بن زمرك فقدم على السلطان ابي العباس واحضر ابن الخطيب بالمشورة في مجلس الخاصة واهل الشورى وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه فعظم عليه النكير فيها فوبخ ونكل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملإ ثم رُدّ الى محبسه واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه وافتى بعض الفقهاء فيه ودس سليمان بن داود رديف وزير السلطان لبعض الاوغاد من حاشيته بقتله فطرقوا السجن ليلاً ومعهم زعانفة جاؤا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الاحمر وقتلوه خنقاً في محبسه واخرجوا شلوه من الغد فدفن ثم اصبح من الغد على شأفة قبره طريحاً وقد جمعت له اعواد واضرمت عليه ناراً فاحترق شعره واسود بشره واعيد الى حفرته وكان في ذلك انتهاء محنته.

قال ابن خلدون: وعجب الناس من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه واهل دولته والله الفعال لما يريد. وكان عفا الله عنه ايام امتحانه بالسجن بتوقع مصيبة الموت فتجيش هواتفه بالشعر يبكي نفسه ومما قال في ذلك.

بعدنا وان جاورتنا البيوت ... وجئنا بوعظ ونحن صموت
وانفاسنا سكنت دفعة ... كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاماً فصرنا عظاماً ... وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا ... غربن فنا حت عليها البيوت
فكم جدّلت ذا الحسام الظبا ... وذو البحت كم جدلته البحوت
وكم سيق للقبر في خرقة ... فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب ... بوفات ومن ذا الذي لا يفوت
فمن كان يفرح منكم له ... فقل يفرح اليوم من لا يموت

قلت في اهواء السياسة صيرت لسان الدين الى ما صيرته اليه وما عدوه عليه مما خالف به الشرع وجرى مع الفلسفة فانها في حجة طالما كثر التوكؤ عليها منذ ضعف العلم في هذه

الامة ولو صح ما زعموا اما كان الاجدر بالامناء على الدين وهو في عهد عزه ان يغيروا عليه وينبذوه عن حمى سلطانهم لئلا يستشري افساده للعقائد بما نشره من المصنفات . والقليل الذي انتهى الينا مما خطه يمين لسان الدين يدل ولا جرم على حرية في الفكر لم يحاب معها ولم يداجِ ولعلها هي التي عدها اعداؤه له من المحنات قال في ترجمة الحاكم باديس بالاندلس في كتابه الاحاطة بعد ان وفاه حقه من الوصف وانه من الملوك الجبابرة فائل الرأي خليع الرسن : وقد ادال اعتقاد الخليفة في باديس بعد وفاته وقدم العهد بتعرف اخبار جبروته وعتوه على الله سبحانه لما جبلهم عليه من الانقياد للاوهام والانصياع للاضاليل فعلى حفرته اليوم من الازدحام بطلاب الحوائج والشفاء من الاسقام حتى اولو الدواب الوجيعة ما ليس على قبر معروف الكرخي وابي يزيد البسطامي . واليك كيف وصف في مكان آخر جعفر بن احمد الخزاعي الغرناطي من مشايخ الطريق قال : ان قومه خرجوا من وطنهم عند تغلب العدو على شرق الاندلس فنزلوا في ربض البيازين جوفي المدينة وارتاشوا وتأثلوا وبنوا المسجد العتيق واقاموا رسم الارادة يرون انهم تمسكوا من طريق الشيخ ابي احمد باثره فلا يفتون بيته ولا يقطعون اجتماعاً على حالهم المعروفة من تلاوة حسنة وايثار ركعات ثم ذكر ثم ترجيع ابيات في طريق التصوف مما ينسب للحسين بن الحلاج وامثاله يعرفونها منهم مشيخة قوالون هم نحول الاجمة وصراديك (لعله صناديد) تلك القطيعة يهيجون بلابلهم فلا ينشبون ان يحمى وطيسهم ويخلط مرعيهم بالهمل فيرقصون رقصاً غير مساوق للايقاع الموزون دون انحجال (؟) الغالية منهم بافراد كلمات من بعض المعقول ويكر بعضهم على بعض وقد خلعوا خشن ثيابهم ومرقعات قباطيهم ودرانيكهم (١) فيدوم حالهم حتى يتصببوا عرقاً وقوالهم يحركون فتورهم ويذمرون روحهم يخرجون بهم من قول الى آخر ويصلون الشيء بمثله فربما اخذت نوبة رقصهم بطرفي ليل التمام ولا تزال المشيعة لهم يدعونهم ويحاجون بهم الى منازلهم وربما استدعاهم السلطان الى مصره محفاً لطائف نعيمه باخشيشانهم مبدياً التبرك بهم . الى ان يقول فتسقط فيما بينهم بفلتة سماعه اي المزمار اخوة الطريق وهم اهل سذاجة وسلامة اولو اقتصاد في ملبس واقتيات بادنى بلغة وهم في التعصب نزعة خارجية واعظمهم ما بين مكتسب متسبب وبين معالج مدره ومريع حياكة (؟) وبين اظهرهم من الذعرة والصعاليك كثير . والطرق الى الله تعالى على عدد انفاس الخلائق جعلنا الله مما قبل سعيه وارتضى ما عنده ويسره لليسرى .

---

(١) الدرنيك والدرنوك ضرب من الثياب والبسط جمع درانك ودرانيك والقباطي نوع من الثياب

وقد ترجم لسان الدين نفسه في آخر كتاب (١) الاحاطة ونقل عنه المقري في سبب نكبته ما يأتي ملخصاً : وتلقفني يعني اباه عبدالله عالي الدرجة شهير الخطة مشمولاً بالقبول مكنوفاً بالعناية فقلدني السلطان سرّه ونما يستكمل الشباب ويجتمع السن معززة بالقيادة ورسوم الوزارة واستعملني في السفارة الى الملوك واستنابني بدار ملكه ورمى الى بدسيع بخاتمه وسيفه واثتمنني على صوان حضرته وبيت ماله وسجوف حرمه ومعقل امتناعه . وللهالك السلطان ضاعف ولده حظوتي واعلى مجلسي وقصر المشورة على نصحي الى ان كانت عليه الكائنة فاقتدى في اخوه المتغلب على الامر فسجل الاختصاص وعقد القلادة ثم حملها اهل الشحناء من اعوان ثورته على القبض عليّ فكان ذلك ونقبض عليّ ونكث ما ابرم من اماني واعتقلت بحال ترفيه وبعد ان كبست المنازل والدور واستكثر من الحرس وختم على الاعلاق وابرد الى ما ناء (؟) واستؤصلت نعمة لم تكن بالاندلس من ذوات النظائر ولا ربات الامثال في ثبجر الغلة وفراهة الحيوان وغبطة العقار ونظافة الآلات ورفعة الثياب واستجادة العدة ووفور الكتب الى الآنية والفرش والماعون والزجاج والطيب والذخيرة والمضارب والابنية واكتسحت السائمة وثيران الحرث وظهر الحمولة وقوام الفلاحة والخيل فاخذ ذلك البيع وثناهبتها الاسواق وصاحبها البخس ورزأتها الخونة وشمل الخاصة والاقارب الطلب واستخلصت القرى واعملت الحيل وطوّقت الذنوب امدّ الله تعالى بالعون وانزل السكينة وانصرف اللسان الى ذكر الله تعالى وتعلقت الآمال به وطبقت نكبة مصحفية مطلوبها الذات وسببها الحال حسبما قلت عند اقالة العثرة والخلاص من الهفوة

تخلصت منها نكبة مصحفية لفقد اني المنصور من آل عامر

ووصلت الشفاعة فيّ مكتوبة بخط ملك المغرب وجعل خلاصي شرطاً في العقدة ومسالمة الدولة فانتقلت صحبة سلطاني المكفور الحق الى المغرب وبالغ ملكه في بري : منزلاً رحباً وعيشاً خفضاً واقطاعاً جماً وجراية ما وراءها مرمى وجعلني تجلسه صدراً ثم اسعف قصدي في تهيوء الخلوة بمدينة سلا منوّه الصكوك مهنأ القرار متفقداً بالليها والخلع مخوّل العقار موفور الحاشية مخلى بيني وبين اصلاح معادي الى ان ردّ الله تعالى على السلطان امير المسلمين ابي عبدالله بن امير المسلمين ابي الحجاج ملكه وصير اليه حقه فطالبني بوعد

(١) ان شئت التوسع في اخبار لسان الدين ومشايخه ونشأته وشعره ونثره فعليك بما كتبه المقري في القرن الحادي عشر من كتاب خصه به وسماه نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب وهو في اربع مجلدات مشهور بين الادباء ومطبوع مرات

ضربته وعمل في القدوم عليه بولده احكمته ولم يوسعني عذرًا ولا فسح في الترك مجالاً فقدمت عليه بولده وقد ساء باماكه رهينة ضده ونغص رهينة الفتح بعده على حال من التقشف والزهد فيما بيده وعزف عن الطمع في ملكه وزهد في رفده حسبما قلت من بعض المقطوعات :

قالوا لخدمته . دعاك محمد فاتنتها وزهدت في التنويه
فاجبتهم انا والمعيمن كاره في خدمة المولى محب فيه

لما عاهدت الله على ذلك وشرحت صدري للوفاء به وجنحت الى الانفصال لبيت الله الحرام نشيدة املي ومرمى نيتي وعملي فعلق بي وخرج لي عن الضرورة واراني ان مؤازرته ابرُّ القرب وراكنني الى عهد بخطه فسح لعامين امد الثواء واقتدى بشعيب صلوات الله عليه في طلب الزيادة على تلك النسبة واشهد من حضر من العلية ثم رمى اليَّ بعد ذلك بمقاليد رأيه وحكم عقلي في اختيارات عقله وغطى من جفائي بحلمه وحثا في وجوه شهواته تراب زجري ووقف القبول على وعظي وصرف هواي في التحول ثانيًا قصدي واعترف بقبول نصحي . الى ان قال ومع ذلك فلم اعدم الاستهداف للشرور والاستعراض للمحذور والنظر الشزر المتبعث من خزر العيون شيمة من ابتلاه الله بسياسة الدهماء ورعاية سخطة ارزاق السماء وقتلة الانبياء وعبدة الاهواء ممن لا يجعل لله تعالى ارادة نافذة ولا مشيئة سابقة ولا يقبل معذرة ولا يجمل في الطلب ولا يتلبس مع الله بادب . . .

هذ ما قاساه لسان الدين من ضروب النعم والنقم فعدَّ نردًا في القلب سيفي نعائه وغربيًا في بلوائه وقد اكتفينا آنفًا بنقل ما قاله فيه ابن خلدون صديقه وما قاله هو في شرح نكبته اوردناه بعبارتيهما الا قليلاً وان اورث هذه الترجمة تطويلاً وذلك لعلمنا بان انشاءهما مما ينبغي احتذاه مثاله وجزالة الفاظهما وجودة معانيهما مما يعزُّ نظيره .

الميكروب

اعتراض اهل المذهبين الكيماوي والطرآئي على الحيويين

لم تزد الايام والتجارب مذهب الحيويين الا تحقيقًا وثبوتًا . فبعد ان تقرر بالتجربة اذا منع اختلاط الميكروب بالمواد الآلية المنعمة لن تحصل فيها ظواهر الحياة والاختمار حتى يرتفع حجر عثرة فيحدث الاختلاط عند ذلك . سيرًا كان الاعتراض الذي اعترض لان تقرر هذه

النتيجة بان الميكروب لا يمكن تكوّنه من ذاته طرآئياً بل يتولد من آخر مشابه له جنسياً ولكن اهل الرأي الكيماوي اعترضوا بقولهم : ان جميع المواد القابلة للاختمار التي يعرّضها المجربون للحرارة لتتغير تغيراً جوهرياً وتفقد الخميرة الكيماوية طبيعياً فيها فلم تعد تختمر . لانهم يزعمون بان الاختمار يحصل بواسطة خميرة كيموية والحرارة تتلفها فيتعذر الاختمار . ومن ثم كانت تلك المواد عينها التي لم تعرض للحرارة تختمر لا محالة من دون الميكروب . وكذلك كان اصحاب اعراض التولد الذاتي القائلون بان الحرارة تغير المواد جوهرياً فيمتنع حصول الاختمار فيها وتولد الميكروب . هذا كان اصعب الاعتراضات حلاً لا جوهرياً لانه دعا الى ايجاد وسائط ومواد غير التي دارت عليها التجارب والامتحانات ومن دون التعقيم بالحرارة .

فضاقت الحاجة للمجيبين بان يعيدوا جميع التجارب ولكن على مواد عقيمة طبيعياً وذلك كالدم والحليب والبول وعصير العنب الخ فان هذه المواد السائلة اذا أُخذت باحتراز ووضعت في الزجاجات ذوات الأنبوب المذكورة في الفصل السابق من دون ان يختلط بها او يلامسها الهواء الخارجي كانت تفي بالمقصود حق الايفاء . لان تلك المواد عرضت للتجربة ودامت في الزجاجات عقيمة لم يمسها الفساد . وبعضها لم يزل ولن يزال باقياً الى ما شاء الله ذكراً انفيساً وشاهداً لتلك التجارب الشهيرة التي قطعت قول كل معترض معاند

وجود الميكروب في الماء والهواء والتراب

اثبت الحيويون بان انواع الميكروب موجودة ومنتشرة في المسكونة لان المواد الصالحة للاختمار كلها تختمر لا محالة حيث وجدت اذا استوفت الشروط الملازمة للحياة ولم تُحجر عن الميكروب . وهذا دليل كاف وواضح على وجود الميكروب في كل مكان على سطح الارض ومع ذلك فان العلماء اجتهدوا قرائحهم لاثبات وجوده عيناً وفعلاً فيما يحيط بنا ويجاورنا .

ففي سنة ١٨٣٨ ابتدأ اهرنبرغ بفحص الماء والغبار فوجد فيها من الخلايا ما سماه بالانفزوار ومعناه خلايا مائية وسماها بعضهم بالنقاعيات . واظهر من بعده بوسنه وتندال وباستور بان الهواء والماء والتراب وجميع ما يحيط بنا لا يخلو ابداً من الميكروب الذي يكون هباء في الريح وسابحاً في الماء وملتصقاً بالاواني وجميع ما يستعمل فينتشر بواسطتها ويتساقط حيث اتفق له . فالواقع منها على ما يليق به ويصلح لمعاشه وساعدته الاحوال والشروط التي لا بد منها للحياة لم يلبث ان تنتعش فيه الحياة فينمو ويتكاثر محوّلاً تلك المواد الى حال اخرى يقال لنوع منها اختمار والآخر اختر فتعفن .... فالحواصل الآلية تكون اصلياً لا ميكروب فيها وهذا انما ينتقل اليها بواسطة خارجية .

في ان الميكروب هو سبب الاختمار

لم يترك خصوم الحيويين وسيلة املوا منها بعض الصواب في آرائهم ولم يتشبثوا بها . فمن بعد ان افحمهم برهان وجود الخلايا وتكونها بالتناسل الطبيعي ووجوب وجودها لحصول الاختمار في اي مادة كانت على الاطلاق وكذلك وجودها وانتشارها على وجه البسيطة قام من ادّعى بان من ذلك كله لا ينتج بان الميكروب هو بنفسه السبب الوحيد الملازم للاختمار لانه لم يتبين باي نوع وكيف وما هي القوّة الكامنة فيه تؤثر بالمواد الجامدة فتبدلها من حال الى اخرى .

صرح «شوان» بادي، بدء بان زيادة ظواهر الاختمار وقلتها تلازم نموّ الخميرة وازديادها وقلتها وذلك لان الخلايا تأخذ من المواد الصالحة لها ما ينفعها في غذائها ونموّها وما لم تنتفع به يتكوّن منه الالكحول .

وقال كثيرون بعد شوان بذلك المبدإ ودافعوا عنه جيدهم ولكنه لما لم يُسند الى تجارب وبينات تدركها الحواس لم يكن كافياً للاقناع وعندها قام ابن بجدتها بل عذيقها المرّجب وجذيلها المحكك واعني به باستور واثبت سنة ١٨٥٧ اوّلاً ان الاختمار يلازم جوهرياً حياة الخميرة ونموّها وان ظواهره كلها تتوقف على فعل الخلايا التي تنمو وتنشأ باتخاذها غذاء الاجزاء التي تتركب منها المواد الصالحة للاختمار . ومن اجل ذلك فباقتياتها بالمادة السكرية مثلاً لا تتحول هذه جميعها الى الالكحول وحامض الكربونيك بل بجزء منها نحو خمس في المائة تتكوّن الخلايا نفسها . فكانت من ثم اجزاء المواد الاختمارية هي غذاء الخميرة وهذه تصرف الجزء الاصغر من ذلك لنموّها وتكاثرها والاكبر يتحوّل بالاغتذاء الى الالكحول وحامض الكربونيك . ولما كان في تركيب الخلايا يدخل ايضاً جزء من الازوت والاملاح المعدنية ظنّ باستور في اول الامر بانه لا بد من وجودها في المحلول المعدّ للاختمار لكي تنمو الخلايا وتحلل المادة السكرية . واطلع بعد ذلك على انه لا حاجة لذلك فان الخلايا يمكنها ان تنمو في المحلول السكري المحض بدون ازوت واملاح . على ان النموّ في هذه الحال يحصل اما من مادة ازوتية مذخورة في الخلايا نفسها او ان الخلايا الفتية تستفيد فيه من بقايا اسلافها . واطلع ايضاً بانه اذا جعل الخميرة وحدها في الماء الخالي عن السكر تصلح تلك البقايا موقتاً لان تكون غذاء تاماً تعيش عليه هذه الخلايا الفتية وتحولها الى الالكحول وحامض الكربونيك . بمعنى انه يحصل هنالك الاختمار من دون سكر وسبق سنة ١٨٦٠ اظهر باستور بان الاجزاء الازوتية الداخلة في غذاء الخلايا ليس من الواجب ان تكون من المواد الزلالية فان الاملاح النشادرية تقوم مقامها في التغذية . والخاصل فان

المحلول المركب من جزء من الاملاح المذكورة والمعدنية ومن السكر يكون اصلح غذاء « ومادة » للاختمار الالكحولي . تحقق كثيرون بعد باستور ذلك عملياً واثبتوا بان لا دخل للمواد الزلالية لحصول الاختمار ونشوء الخلايا بخلاف ما ادّعاه وقتئذ الكيماوي الشهير ليبيج .

واما غاز الاكسجين الذي يحتوي عليه الهواء وكان يظنه الاولون السبب الوحيد للاختمار فقد اظهر باستور ان الخلايا تجتذبه من الهواء بكثرة وتقذف حامض الكربونيك كالفعل بقية الحيوانات وجاء بعده شتزمبرغ فابان ذلك واثبته قائلاً بان نموّ الخلايا وتكاثرها يكون على نسبة ما تصرف من الاكسجين فاتضح بذلك ايضاً بان الاختمار انما يتوقف على اغتذاء الخلايا وتنفسها الهواء لا على الاكسجين . ولما كان باستور قد اظهر من بعد ذلك بان بعض الميكروب لا يحب الاكسجين و يعيش بدونه و بدون الهواء سمى ذلك بالهوائي وهذا بغير الهوائي . وفي ذلك بحث طويل لا يساعدنا المجال على تفصيله . ان الاختمار هو فعل حيوي (فسيولوجي) وما عدا الادلة التي سبق بيانها الناتجة عن التجارب المختلفة واخصها تجارب شوان و باستور التي تثبت بان الاختمار فعل حيوي نذكر ايضاً شواهد تؤيد بان جميع الظواهر التي تشاهد في الاختمار والتعفن وغيرها لا يمكن ان تكون الاّ فسيولوجية اعني افعالاً حيوية . ومن ذلك ان زيادة الاختمار وقلته تكون في نسبة نموّ الخلايا وتكاثرها في المحلول الاختماري وان ذلك يتوقف ايضاً على حصول الحرارة المعتدلة في المكان والمحلول وان المواد السامة التي توقف الافعال الحيوية في الحيوان والنبات او تخدرها كالكلورفورم والاثير وغيرها ولو جزءاً زهيداً منها توقف ايضاً فعل الخلايا وتعطل الاختمار . وزد على ذلك ما عرف بالتحليل الكيماوي من ان الاختمار يبدل تبديلاً جوهرياً جميع المواد بنوع وكيفية لا يمكن حصولها الا بفاعل كيماوي له اعظم قوّة وتأثير . ولما كان في المحلول الاختماري لا يدخل شيء من ذلك فالتبدل فيه لا يمكن ان يسند الاّ الى فعل حيوي .

انواع الميكروب وتفصيلها

عرف من الميكروب انواع كثيرة مختلفة لكل منها شكل وخواص وطبائع وافعال تميزه عن غيره ولا تقوم الا به . فان ميكروب الاختمار الالكحولي مثلاً يختلف شكلاً وفعلاً وطبيعة عن الخثي واللبني وغيرها وميكروب الكوليرا ليس ميكروب الطاعون . وكذلك بقية الامراض الميكروبية فان لكل منها نوعاً خاصاً يتمايز و يختلف بعضه عن بعض اختلاف الامراض . وقد عرض الاستاذ سديو في ١١ آذار سنة ١٨٧٨ على الجمعية العلمية الباريسية بان تسمي جميع دقائق الحيوان والنبات الحي منها بالميكروب ليكون لها اسم شامل

لانواعها . لان الاسماء كانت قد كثرت وتشتت لاكتشاف اجناس وانواع مختلفة. فهذا صفات نباتية ولذاك حيوانية ولآخر بين بين حتى ان بعضهم اشار بان يسمى بعالم الدقائق الحية ليمتاز عن عالمي الحيوان والنبات توفيراً لعناء التفصيل والتفريق ودفعاً للشذوذ عن القواعد المصطلح عليها لذلك العهد .

وفي بحثنا الآن عنها عامة لا يفيدنا جدول اسمائها لانه يبعدنا عن الموضوع ويشغلنا عن حكاية اكتشافها . ولما لم يكن من انواع الميكروب ما يوجد طبيعياً وحده محضاً الا في النادر من دون ان يكون مختلطاً معه من نوع او انواع اخرى اقتضى ان يتوصل العلماء الى تفصيله وتفريقه عن بعضه . فباستور هو اول من بين وجوب ذلك واليه يعود الفضل في اكتشاف الواسطة وحل المشكل . فانه اخذ ذرّةً من الهباء مثلاً ادخلها في زجاجة سائل معقم وخلطها به ثم اخذ من تلك الزجاجة نقطة خلطها في زجاجة ثانية فمن هذه نقطة في ثالثة وهيّ جرًّا الى العاشرة بل اكثر . وجعل الزجاجات كلها في محل واحد فصار من بعد ذلك اعني لدى ظهور الاختمار في واحدة منها يفحصها ليرى نوع الميكروب الذي فيها . ففي اغلب الاحيان كان ميكروب الزجاجات الاخيرة من جنس واحد محض اذا اخذ منه وزرع في زجاجات معقمة لا يجني الاّ من ذلك الميكروب جنساً ونوعاً . وهذه الواسطة اعني تمييز الميكروب بعضه عن بعض واجتناء نوع محض منه صار عليها مدار علم الميكروب فتقدم ونجح واي نجاح .

ولا يخفى ما هنالك من الصعوبات وطول الانتظار وصرف الاموال الجزيلة مع طول الأناة والصبر فاخترع الاستاذ كوخ واسطةً عوضاً عن السابق بيانها صار عليها التعويل عند جمهور العلماء لانها قريبة المأخذ عاجلة النتيجة كفيلة بنجاحها وهي لا تكلف الا شيئاً قليلاً من المصاريف ولولاها ما توصل لاقتباس علم الميكروب الا الخاصة من المعلمين واغنيائهم .

الاعتراضات

كان اصحاب مذهب التولد الذاتي في بادىء الامر هم الاكثرون ولهم الصوت الاعلى واليد الطولى والتصدر في المحافل العلمية فكانوا يعدون من خالفهم مبتدعاً ودخيلاً فيخذلونه بل يحرمون عليه حرية القول والعمل لايضاح افكاره والدفاع عن آرائه وعند ما كثر الحيويون واشتهرت آراؤهم المبنية على نتائج التجارب التي يراها ويقبلها كل ذي عقل سليم ولا سيما عند ما ظهر باستور وانتشرت اعماله وانتصر له كثيرون من العلماء اضطرّ اولئك الى البروز الى ميدان الجدال واذ لم تسعهم المكابرة واسكات الخصم ببينات دامغة املوا الانتصار عليه بمقاومته بسلاحه نفسه اعني بالتجربة والامتحان فاصابتهم سهامه وعلموا الحق

واذعنوا له . لان اعتراضاتهم كانت اوهى من بيت العنكبوت : فمنهم من كان ادّعى انه وجد بالتجربة بعض الاختبار من دون ميكروب وآخرون استشهدوا لاثبات زعمهم بحدوث التعفن في جوف جثث الموتى وفساد بيض الدجاج مع بقاء قشرها سالمًا . وكذلك حدوث الاختمار اللبني والخلي على الرغم من منع اختلاط الميكروب بسائلها العقيم . وادعى بعضهم بانهم حافظوا على الحبول بدقة واتقن مع ذلك . وكذلك انهم نقوا مواد الاختمار بالترشيح والتصفية ولم تبق كلها سالمة . وفي تلك الاحوال كلها كانوا اما يزعمون بانهم لم يجدوا اثرًا للميكروب في جميع المواد التي أُعدت للتجربة فينسبون الاختمار والتعفن الى فعل كيماوي واما ان يقولوا بان الميكروب وجد في جميعها على كثرة احترازهم منه فيستنتج الطرآئيون حجة صريحة على صحة التولد الذاتي . وقال بيشام ان التدرنات التي تشاهد في الحياة في بروتو بلاسم الخلايا التي يتركب منها جسم كل حي من نبات وحيوان تتحول الى ميكروب بعد الممات

ان سخافة تلك الاعتراضات كلها بينة فلم تزعزع رأي الحيويين بل زادته متانة ورسوخًا وسبب ضلالهم وخبطهم هو عدم تصديقهم بوجود الميكروب فلم يعبؤا به ولم يتخذوا بحق وسائط التحرز من انسيابه فيما يجربونه سيما وانهم لم يريدوا التوغل في علم الميكروب الذي كان يومئذ صعب المنال وهم يستهينون به .

الاختمار الكيماوي

ذكرنا فيما سبق بان بعض العلماء كانوا يعتبرون الاختمار فعلاً كيماويًا فكان ليبيج وحزبه منذ سنة ١٨٢٩ يدعي بان الخميرة هي مادة كيماوية بتحللها يحصل تحول السكر الى الالكحول والحامض الكربونيك وحاولوا اثبات زعمهم ببينات مستندة كلها على مشابهة الاختمار بفعل بعض الاجسام وعناصرها كيماويًا . فعجزوا وبدّل ليبيج سنة ١٨٧٠ مدعاه وزعم بان وجود الخلايا في الاختمار انما يكون ثانويًا فهي تحدث مادة خاصة تسبب الاختمار كيماويًا وهذا لا يتوقف على الخلايا بل على المادة التي تفرزها فلو امكننا اذًا باحدى الوسائط افراز تلك المادة لتوصلنا الى حصول الاختمار بها وحدها من دون الخلايا . واستشهد بظواهر حيوية تضاهيها تشاهد في النبات والحيوان من الطبقة العليا وكذلك عند الانسان وفي حصول البيسين والتربسين والميوزين والدياستاز وغيرها ومنفعتها لا تختلف عن الاختمار قطعيًا فهي اذًا خميرة كيماوية .

ان الحيويين لم ينكروا وجود الخميرة الكيماوية ولكنهم لم يسلموا بان النوعين فعلاً وتأثيرًا متشابهين حقيقة . لان الخمير الكيماوي يؤثر ويفعل بمجرد الاختلاط والملامسة وفعله تحليلي اعني انه يفرق الاجزاء والعناصر بعضها عن بعض كفعل الحامض الكبريتي وغيره

بالاجسام وكميته لا تزيد بل تنقص في الاختمار ويتلفي له اكثر من ستين درجة ليؤثر الاثر الذي لا تعطله السموم الفسيولوجية . واما الخميرة الميكروبية فتحول وتبدل ماهية المواد تحويلاً جوهرياً وكميتها ليست بمحدودة فانها تجري حكمها مهما زادت او قلت وهي تزيد او تنقص على نسبة كثرة الاختمار او قلته . وفعلها يحصل بين الـ ٢٥ و٤٠ من درجة الحرارة ويتعطل تماماً اذا أضيف اليه شيء من السموم الفسيولوجية . فلا ملابسة اذاً بين الاثنين

واما في بعض المواقع التي يحدث فيها اختمار مختلط كيماوي وحيوي كما في التعفن فيجري الخميران حكمهما معاً فالكيماوي الناتج بعضه عن الميكروب يحلل بوجوده المواد فيتناولها الحيوي ويغتذي بها فيحولها ويبدل ماهيتها تبديلاً جوهرياً فاذا اردنا من ثم ان نوافق لبيج ونقبل بان التحلل الطاريء على العناصر في الاختمار يحصل عن اختلاط او مجمعة عنصرية اشبه شيء بالخميرة وان هذه لا يمكن حصولها الاّ بوجود الخلايا وحياتها واقتياتها فلا يعتبر حينئذ لبيج معترضاً بل مؤيداً لرأي الحيويين .

وفحوى القول إن الحيويين بعد ان استمروا نحو خمسين سنة بين دفاع وهجوم ظفروا بجميع من عاداهم وعاندهم . وسلم بصحة آرائهم قابضو زمام العلم من جميع الامم والملل . فتوطدت بينهم دعائم السلام وعلائق الاتفاق ونشرت راية الاتحاد والتعاضد لمحاربة العدو المضرّ من انواع الميكروب بالاكتشاف على مكامنه وحركاته وختلاته وخزاته فيمزقون حبائله ويخلصون الجنس البشري بل عالم الاحياء اجمع من حملاته وصولاته ويكسرون حدته وشوكته ابداً .

دمشق سليمان غزالة

اليونانيه

الصنائع اليونانية

المعابد اليونانية — قامت اجمل المباني في اليونان تعظيماً للارباب فمتى ذُكرت هندسة اليونان فلا يذهب الفكر الاّ الى معابدهم . وليس المعبد اليوناني كالبيعة النصرانية خاصاً بقبول المؤمنين الذين يهرعون الى الصلاة فيها بل هو قصر ينزله الرب وتمثاله يمثله فصر تحفه الابهة والجلالة ولا يلجه جمهور المؤمنين بل يطوفون خارجه حوالى مذبح تحت السماء وقد قامت مقصورة الرب في وسط المعبد وهو مزار سري لا نافذة له ولا ضوء ينفذ اليه

الا ما كان من كوى في الاعالي . وقام الصنم في داخله محمولاً من خشب او رخام او عاج لابساً ذهباً محلىً بالثياب والحلي وكثيراً ما يكون هيكلاً عظيماً . وقد مثل زيوس في معبد الاولمبيا قاعداً ويكاد يصل رأسه الى القمة ولذا قيل ان الرب لو تمثل قائماً لخرق السقف وقد حُجب هذا المزار عن الانظار من كل ناحية وهو عبارة عن مستودع ذخائر الصنم ويجتاز من يروم دخوله ضرباً من الرواق مؤلفاً من صفوف من السواري . ووراء الغرفة غرفة ثانية معلقة فيها الاعلاق الثمينة الخاصة بالرب وجميع قنياته (١) وربما جعل فيها ذهب المدينة ونفستها . وهكذا كان المعبد صواناً وكنزاً ومتحفاً وتحيط بالمعبد صفوف من السواري من اطرافه الاربعة مؤلفة حوالى جدار المزار غشاء ثانياً للرب وكنوزه والسواري على ثلاثة انواع تختلف باختلاف اساسها ورأسها او تاجها وعلى كل منها اسم الامة التي اخترعتها او اكثرت من استعمالها وهي بحسب اختلافها في القدم السواري الدورية والسواري الايونية والسواري الكورنثية . ويدعى المعبد باسم السواري التي بُني عليها . وفوق الاعمدة حوالى البناء صفائح من رخام منقوشة على شكل اللوحة تتناوب على قطع من رخام منضمة ومنها يتألف الافريز . ويعلو المعبد بنية مثلثة في اعلى مقدم البناء مزدانة بتماثيل وقد صوّرت المعابد اليونانية بالوان عديدة من اصفر وازرق واحمر وبقي اهل التمدن الحديث زمناً وهم يأبون تصديق ذلك . وكان من الوهم العام ان لا بناء اليونان ذوقاً معتدلاً جداً في نقش البناء . بيد انه اكتشفت في كثير من المعابد آثار نقوش لا تبقي مجالاً للشك حتى ادت الحال بالباحثين ان علموا بالتأمل فيها ان تلك الالوان اللامعة لم تحسن اخراج الخطوط وكان عليها ان تحسنه اكثر من ذلك .

صنعة النقش اليوناني — يتراءى المعبد اليوناني باديء بدء انه ساذج لا زينة فيه وما هو الاّ علبة مستطيلة من حجر موضوع على صخر اما الواجهة فتحتوي على شكل مربع تعلوه زاوية . فلا ترى لاول نظرة غير خطوط مستقيمة وأسطوانات حتى اذا نظرت فيها عن أمم تنكشف لك انه ليس من هذه الخطوط المستقيمة العديدة الا خط واحد مستقيم في الحقيقة . فالسواري منتفخة نحو الوسط والخطوط القائمة منحنية قليلاً نحو المركز والخطوط الأفقية محدبة في الوسط . وكان هذا من الدقة بحيث اقتضى قياسه بالتدقيق لاكتشاف الصنعة فيه . وقد لحظ النقاشون اليونان ان اخراج مثل هذا المجموع المتطابق

(١) كان في البارتينون احد معابد آثينة على قول خزنة كنوز الارباب اوانٍ ذهبية وفضية وتاج من ذهب واتراس مخوذات وسيوف وحيات من ذهب ومنضدة من عاج وثمانية عشر فراشاً وجعاب من عاج ايضاً (المؤلف)

من البناء يقتضي تجنب الخطوط الهندسية التي تظهر منحدرة وتوفير العناية بظواهر المناظر البعيدة . قال كاتب يوناني ان غاية النقاش ان يخترع طرقاً يسحر بها اعين الناس . ولقد كان اهل الصنائع في يونان يعملون باخلاص لانهم يعتقدون عملهم قربى من احد الارباب لذلك كانت صنائعهم معتنىً بها في كل اطرافها حتى فيما لا يرى منها وهي من المتانة بحيث يطول امد بقائها بعد لو لم يعاجلها التخريب بشدة . ودام البارتينون الى القرن السابع عشر سليماً وانشق شطرين بانفجار مخزن من البارود كان بقربه وقد جمع النقش اليوناني الى المتانة حسن ذوق والى السذاجة علماً ومهارة . زالت معابد اليونان كلها تقريباً ويكاد يبقى بعضها مبعثراً مخدوشاً مهدماً متداعي الاركان وربما كانت طبقات من سوار على انها تكفي على علاتها ان تلفت نظر من يراها .

النقش — لم يكن النقش عند المصريين والاشوريين الا زينة من توابع الابنية اما اليونان فقد احلوه محل صناعة رئيسة . واشهر ارباب الصنائع عندهم النقاشون فيدياس وبراكسيتيل وليزيب . فينقشون البارز دون النصف من البناء ليزينوا جدران معبد وواجهته والبنية المثلثة في اعلى البناء . ومن هذا النوع الافريز الشهير في الباناتينيه المحيط بالبارتينون وهو يمثل تطواف شابات آثينة يوم الاحتفال بعيد الربة الكبير . وكان هؤلاء النقاشون ينقشون هياكل وتماثيل خاصة بعضها يمثل ربّة ويستخدم صنماً وبعضها يمثل مصارعاً ظافراً في الالعاب الاحتفالية أُقيمت له هذه التماثيل جزاء نصرته .

واقدم التماثيل اليونانية منحدرة عوجاء تشبه النقوش الاشورية ثم غدت لدنة ظريفة وكانت اعظم الاعمال من صنع فيدياس في القرن الخامس وبراكسيتيل في القرن الرابع اما تماثيل القرون التالية فانها على التأنق فيها اقل شرفاً وعظمة . وكان في يونان ألوف من التماثيل اذ ان لكل مدينة تماثيلها وقد تابع النقاشون عمل التماثيل بلا انقطاع مدة خمسة قرون ولم يبق منها على كثرتها غير خمسة عشر تمثالاً لم تعبث به الايدي . ولم ننقل الينا طرفة من الطرف الشهيرة بين اليونان واشهر تماثيلنا اليونانية اما ان تكون نسخة عن الاصل مثل تمثال الزهرة في ميلوا او اعمالاً أُثرت عن عصر الانحطاط مثل تمثال ابولون في البلفيدير . ومع هذا فقد بقي منها ما يكفي اذا أُضيفت اليها قطع التماثيل والصور البارزة التي ما زالت تستخرج بالحفر لان يتصوّر المرء حالة النقش اليوناني ويكون له فكر اجمالي عنها فالمهندسون اليونان فكروا اولاً في تمثيل اجمل الاجسام في مظهر وقور شريف . وما اضاعوا الفرص كلما سنحت ليشهدوا اجمل الرجال في اجمل اهياآت من محل الرياضة والجيش والمراقص والاجواق المقدسة فيدرسونها ويحسنون نقلها . وما ضاهاهم احد في محاكاة الجسم البشري

ومن العادة ان يكون الرأس صغيراً في تمثال يوناني والوجه ساكناً كامداً ولم يعن اليونان مثلنا بمعاني الوجه بل يعتنون بجمال التخاطيط ولم يراعوا التناسب بين الاعضاء والرأس والجسم برمته مثال الجمال في التماثيل اليونانية .

صناعة الخزف — عرف اليونان ان يتخذوا من الفخار صناعة حقيقية دعوها سيراميك بقي منها اسمها فقط فالخزف او الفخار يعتبر في يونان مساوياً لسائر الصناعات ولكن له منفعة عظيمة لنا وذلك اننا نعرفه احسن من معرفتنا غيره فقد تداعت المعابد والتماثيل اما اعمال الخزافين اليونان فقد حفظت بحالها في المدافن التي يعثر فيها عليها اليوم . وقد جمع منها الى الآن زهاء عشرين الف خزفة في متاحف اوروبا وهي نوعان : الاواني المنقوشة بنقوش سوداء او حمراء على اختلاف الحجم والشكل . والتماثيل الصغيرة المعمولة من التراب المطبوخ التي عرفت منذ خمس عشرة سنة وقد اشتهرت الآن او كادت منذ اكتشفت الدمى البديعة في تاناكار من بيوسيا ومعظمها انصاب صغيرة وبعضها يمثل اولاداً او نساء

التصوير — اشتهرت في يونان عصابة من المصورين مثل زوكسيس وفارانيوس وابيل وكل ما اتصل بنا عنهم يرجع الى بضع اقاصيص وربما كانت مبهمة في الاحايين او الى بعض اوصاف ذات صور . وانا الموقوف على حالة التصوير اليوناني قد اقتصرنا على ما عثر عليه من تصاوير الحوائط في بيوت بومبي احدى المدن الايطالية وهي من القرن الاول للميلاد وكأنها تقول بلسان الحال اننا لم نعرف عنها شيئاً

التجارة الآثينية — اصبحت آثينة في القرن الخامس مدينة كبرى على حين كانت اتيكيا اقليماً مجدباً لا تغل ما يكفي لاعالة سكانها فتضطر الى جلب الحنطة والخمر والسمن والسمك من الخارج . وقد كان عبيد آثينة على العكس يعملون الثياب والخزف والسلاح والاثاث مما يباع خارج بلادهم . ثم كثرت اساليب التجارة . فكانت البضائع ترد الى مرفإ بيرا او تصدر منها وكانت أنشئت فيها ارصفة ومخازن وقد سماها احد الخطباء في القرن السادس بانها سوق بلاد اليونان بأسرها . وكانت تأتيها حاصلات بلاد الشمال خاصة ويحمل اليها من الداخلية في موانئ البحر الاسود وتراسيا الحنطة والخشب والجلود والعبيد وكانت آثينة تتجر مع اليونان النازلين في جنوبي ايطاليا الى نابولي . واذ كان لكل مدينة يونانية نقودها الخاصة بها فقد كان يأتي آثينة دراهم من ضروب مختلفة فاقتضى لذلك صيارفة يبدلونها وكانوا يدعونهم «ترابيزيت» لانهم كانوا يجلسون في الساحة وراء منضدة (ترابيزة) وكانوا كلهم تقريباً من الغرباء الذين اصبحوا ميتيكيين ثم انهم كانوا اتخذوا مهنة اضافوها الى مهنتهم تلك وهي اقراض النقود فيخزنون الدراهم ويقرضونها بفائدة فاحشة بنحو (٣٠ في المئة)

حرب المورة

خصائص عامة — الاستيلاء على آثينة

خصائص عامة — انقسم اليونان الى قسمين بعد تأسيس مملكة آثينة في الجزائر اليونانية فكانت المدن الساحلية خاضعة الى آثينة والمدن الداخلية باقية تحت امرة اسبارطة . وبعد خلاف طال امره نشبت الحرب بين اسبارطة وحليفاتها في ذاك الصقع من جهة وآثينة ورعاياها الساحليين من الجهة الاخرى وكانت هذه الحرب هي المعروفة بحرب المورة . دامت سبعاً وعشرين سنة (٤٠٤ — ٤٣١) ولما القت اوزارها عادت فنشبت باسم آخر الى سنة ٣٦٠

كانت تلك الحروب مشوشة يقتتل المتحاربون فيها براً وبحراً يقتتلون في ارض اليونان وفي آسيا وتراسيا وصقلية اي في اصقاع مختلفة وكان جيش الاسبارطيين احسن انتظاماً فجعل مقاطعة اتيكيا قاعاً صفصفاً وكان اسطول الآثينيين اكثر استعداداً لحرب الشواطىء ولم يؤثر عن تلك الحروب الناشبة بين المدن اليونانية الا الشدة ويكفي في وصفها الاشارة الى بعضها . فقد كان احلاف الاسبارطيين في بدء الحرب يلقون في البحر جميع سلع المدن المعادية لهم فقابلهم الآثينيون بقتل سفراء اسبارطة بدون ان يستمعوا لاقوالهم .

خضعت مدينة بلاتيه صلحاً وكان وعد الاسبارطيون جماعة المحاصرين بانهم لا يعاقبون احداً بدون محاكمة واليك مع هذا كيف كان قضاة الاسبارطيين يعاملون الاسرى : يسألون كل واحد منهم عما اذا قام في خلال الحرب بخدمة للاسبارطيين فكان الاسير يجيب سلباً فيحكمون عليه بالاعدام . وقد بيع النساء كالاماء . عصت مدينة مدللي على الآثينيين فاعادوها الى طاعتهم ثم اجتمع الشعب الآثيني وبعد المشورة بينه قضى باعدام سكان مدللي ثم انه رجع من الغد عن رأيه وارسل باخرة ثانية تحمل العفو عن اولئك المنتقضين . بيد انه كان نفذ حكم الاعدام على زهاء الف من سكان مدللي . وكان من العادة اذا داهم جيش بلاد العدو ان يخرب البيوت ويقطع الاشجار ويحرق الغلات ويقتل الحراثين . وبعد انتهاء الحرب يُجهز على الجرحى ويعمد الى قتل الاسرى صبراً . واذا جرى الاستيلاء على مدينة يؤول كل ما فيها ملكاً للغالب فيباع رجالها ونساؤها واولادها كما يباع العبيد . هكذا كانت اذ ذاك حقوق الحرب . وقد اوجزها توسيديد في خطاب له في الجملة الآتية قال : تنفض المسائل بين الناس بواسطة قوانين العدل متى اضطروا اليها من الطرفين ولكن القوي يأتي ما في طاقته والضعيف يذعن له . فالارباب يتسلطون بضرورة الفطرة لانهم الاقوياء والناس يجرون على مثالهم .

الاستيلاء على آثينة — وما تعب الشعبان من هذه الحرب الباطلة عقدا السلم بينهما ولكن امده لم يطل . وذلك ان آثينة بعثت بجيشها الى صقلية لفتح سيراكوس المحالفة لاسبارطة وهناك أحيط به وبعد نكبة سيراكوس أسر الجيش الآثيني برمته وطنق الغالبون يخنقون عامة القواد وجماعة من الجند ومن ابقوا عليه انزلوهم الى لاتومي وهي مقالع قديمة كانت تتخذ حبوساً القوم فيها سبعين يوماً متزاحمين متراصين لا وقاية تقيهم حرارة الشمس في الصيف اورطوبة ليالي الخريف . فمات كثير منهم مرضاً وجوعاً وعطشاً لانهم لم يكادوا يطعمونهم الا ما يسد رمقهم بعض الشيء وبقيت اشلاؤهم ملقاة على الارض تفسد الهواء ثم اخرج اهل سيراكوس من بقي حياً من الآثينيين وباعوهم كما يباع الرقيق . واقام الاسبارطيون حامية في جبال اتيكا بحيث تمكنوا من توقيف تجارة آثينة مع بلاد الشمال ومنها كانوا يأتون بالحنطة . وذهب ليزاندر القائد الاسبارطي الى آسيا واخذ مالاً من الفرس جهز به اسطولاً وطاف شواطيء آسيا واذ كان احلاف آثينة لا يقاتلون الا بالقوة تركوه وشأنه ثم ان ليزاندر حطم الاسطول الآثيني في آسيا (٤٠٥) وحاصر آثينة واخذها جوعاً واضطرها الى تخريب اسوارها وحرق سفنها الحربية .

أين مني ما أريد

اريد لو استتب لي الخلود ... ولكن اين مني ما أريد
على ان البقاء يطيل همي ... وما سيفي رديته ما استفيد
وليس بنافعي شيئاً بقائي ... وقد غصت باحبابي اللحود
ولكن كيف اقناعي لنفس ... تعلقها بدنياها شديد
أأصبر عن احبائي الأولى قد ... ثووا اني اذاً رجل جليد
مشوا للموت من دار اقاموا ... معي فيها فاقفرت العهود
تثير ديارهم حزناً بقلبي ... وتوحشني التهائم والنجود
فان بك في الاسى رجل وحيد ... فاني ذلك الرجل الوحيد

***

يسير الى المقابر كل يوم ... اخ منها التراب به يزيد
ولو عاد الذي يمضي سلونا ... ولكن من ترحل لا يعود
وما هي حالة الشهداء فيها ... أيقاظ هنالك ام رقود
نعمرك لا يرد الموت حصن ... ولا هذي الدساكر والجنود

يبيد نعم يبيد المرء لكن عناصره تدوم ولا تبيد
يدور الشيء من صفة لأخرى ولكن منه لا يفنى الوجود
وجسم المرء تبنيه خلايا زمان حياتها فيه زهيد
اذا ما مات منها فيه قسم يجيء مكانه قسم جديد
وينقطع التجدد حين يودي فلا يخضر بعد اليبس عود

***

الا ان الحياة اعز شيء نحب وانها الخصم اللدود
شقاء عم هذا الناس حتى تشكى الشيخ منه والوليد
وقالوا بعض من يحيا سعيد فمن هو ذلك الحي السعيد
اتعكس حالة الشرق الليالي فتجتمع المعارف والجدود
لعمرك لا ينيل المجد مال ولا خيل ولا ابل ترود
ولا ثوب على طرفيه وشي ولا قصر على تل مشيد
فان المجد في ادب غزير وان المجد في علم يفيد
وان المجد ذب عن ضعيف تعضمه اخو الظلم العنيد

***

اداري الحاسدين رجاء ان لا يبالغ في مساءتي الحسود
يضر النفس منه او يقيها فتى يلج الخوادث او يحيد
واوقات الفتى اما نحوس تدور على المصائب او سعود
ليال هن بالافراح بيض وايام من الاحزان سود
كذاك الشعر فهو يكون اما رديئاً لا يطيب به النشيد
واما رائق الالفاظ يزهو فتحسب انه العقد الفريد
وذاك هو الذي ان انشدوه تزين منه للآداب جيد
اقول الشعر منقاداً اليه بطبعي وهو اكثره قصيد
فانظمه ولا ادري أأني مسيء حين انظم ام مجيد

***

اليك عن المجرة لا تسلني وعن عدد العوالم كم يزيد
ولا عما وراء السحب فيها فذلك امر مطلبه بعيد
حدود تنتهي الافكار منها وما ان تنتهي تلك الحدود

وبين الفرقدين على اتصال تراه عيرننا بعد مديد
أ لكني باضياء الى نجوم منوّرة لها منها وقود
يراها من له لبٌّ شموساً ويعمه عن حقائقها البليد
وجيءٌ منها باخبارٍ الينا فانك بيننا نعم البريد
سترقى النفس طائرة اليها اذا انفكت عن النفس القيود
لقد تمست هنا فاذا تعالت يكون نصيبها عيش رغيد

***

لعمرك قد تشابهت الليالي فما في عودها شيءٌ جديد
نهار خلفه يأتي نهار وليل كلما ولى يعود
ترى عيني بكف الموت قوساً بها سهمٌ الى جهتي سديد
فيا موت ارمني ان كنت ترمي فاني بالردى صب عميد
ولم ارَ منهلاً كالموت عذباً على طرفيه تزدحم الورود
اقول لمن يهاب الموت جبناً برغمك كائن ما لا تريد
ولكني اخلف عند موتي نساءً حزنها بعدي شديد
فتلدم للجوى منها صدورٌ وتخمش في الاسى منها خدود
مرزأةٌ واخرى ذات نوح واخرى ما لا عينها جمود

بغداد ص...

حكم مقتبسة عن الانكليزية

الكمال

البساطة في غاية الكمال في صفات المرء واخلاقه وعبارته
اقصد الكمال في كل شيء
الكمال لا ينال الاّ مهلاً مع مرور الزمان
لا ينال الرجل كمالاً الا اذا كان له اصدقاء صادقون او اعداء الداء
اذا اقتلعنا من انفسنا رذيلةً واحدة في كل سنة شرعنا في سبيل الكمال
قياس الانسان القياس الاعلى

الكمال مكوّن من صغار الامور وما الكمال بالامر الصغير

الرجاء

آمالنا تقصد كالبزاة الشامخة اغراضاً في مرتفعات الهواء

لا شيء يؤيد النفس بالاقدام والمخاطرة في كل ما تطلبه كالامل الوطيد

متى انحدرت غيوم المعواصف كان المستقبل شديد الدجى لولا شروق الرجاء باشعته البهجة في هذا العالم المظلم

اذا كان طبعك طبع الرجاء المتسع فذلك هو حصنك الوحيد المنيع الذي تحتمي به في هذا الوادي وادي الدموع

يستيقظ باكرًا من يوقظه الرجاء واذا رافقه في الطريق كان سيره حثيثًا

الطاعة

الطاعة واجبة على الذين لا يعلمون كيف يحكمون

الطاعة جيدة لا غنى عنها

ولدنا خاضعين لاحكام الله ومن اطاع الله كان حرًا آمنًا مرتاحًا (سنكا الفيلسوف الروماني)

الاشرار يطيعون خيفةً والصالحون على حبٍ (ارسطو)

من لا يقدر على الطاعة لا يقدر على الحرية او على السلطة ومن لا يكون ادنى سيف شيء لا يكون ارفع في شيء

انني اتعلم كل ساعة تعليماً من تعاليم الطاعة

السرور

من اسرّ غيره كان ذلك سرورًا لنفسه

كن بهيجًا ما امكن لان السرور لا ينحصر فينا بل هو عامل عظيم في سرور غيرنا

الصديق البهيج كنهار منير يضيء كل ما حوله

لا سعادة ثابتة في الحياة الا لمن ينسى نفسه من اجل غيره

اذا كان الزحف نصيبي فازحف راضيًا وان كان الطيران نصيبي فاطير نشيطًا ولكنني سأجهد كل الجهد ان لا اكون مغمومًا

الرفيق البهيج كمركبة لمن قد تعب في الطريق

آمال الدنيا التي قد يشغل الناس قلوبهم بها تخيب او قد تضيع ولكنها كالثلج الذي يغطي وجه الارض ساعة او ساعتين ثم يزول (عمر الخيام)

شوق النفس الى الكمال

الشوق الى الكمال خفير قوي الى الفضيلة

كل انسان يتوق احياناً الى ما يجب عليه من معالي النفس

جزاء المرء الذي يشتاق الى اسمى ما تتصوره النفس هو انه لا ريب له فيها

كل ما على الارض اضلال لاشياء في السماء هي وحدها الباقية

لا ريب في ان التصورات العالية ثابتة الوجود

الكمال الذي يتخيله الانسان آفة لما عنده من نقص الكمال

التشوقات الخيالية بعيدة جداً عنا فلنرض بالسعي وبما يمكن من الدنو اليها

التأمل والتذكر

تذكر مراحم الله السابقة علاج دافع للقنوط في يوم الشدة

ما مضى فقد مضى الى الابد وهو مجموع مذخور ولكنه لم يبق لنا فكل كلمة نطقنا بها وكل خطوة نخطوها لا يمكن استرجاعها

اذا نظرنا الى ما مضى من الشدائد رأينا ان بعضها كان خيراً عظيماً يفوق ما تحملناه من مشقتها

اذا تردد فيك العقل وارتاب فاذكر ما مضى واهتد به واذهب الى البيت الذي ولدت فيه وان كان قد وُلد الايمان هناك فردد ما كان يعتقده ابوك والصلاة التي كانت تصليها امك

التذكر مهما كان محزناً فهو افضل العلائق التي تصل حياة الدنيا بحياة الآخرة

العادة

العادة حبل ننسج منه خيطاً كل يوم الى ان يبلغ حجماً لا يمكن قطعه

رب في نفسك عادة الانتباه الشديد الى كل امر يعرض لك سواء كان في القراءة او المراقبة او الاصغاء الى التعليم

العادة افعل النواميس التي تعمل في الفطرة البشرية

تتكوّن فينا العادات كما يتراكم الثلج بعضه فوق بعض

عادة النظر الى الاشياء بالسرور وتأمل الحياة بالامل تتربى فينا كغيرها من العادات

تتكوّن العادات الحسنة باعمال العقل والمجاهدة الدائمة للتغلب على المحن

النصيب

كل امرىء عامل على نصيب نفسه

اذا قرع النصيب بابنا فمن الخطإ ان لا نفتح له ونرحب به

دولاب النصيب يدور ابداً ومن يستطيع ان يقول اني سأكون اليوم الى الاعلى ؟

السجن

سكنا ولم يسكن حراك التبدد مواطن فيها اليوم ايس من غد
عفا رسم معنى العز منها كما عفت «خولة اطلال ببرقة ثهمد»
بلاد اناخ الذل فيها بكلكل على كل مقتول السبالين اصيد
معاهد عنها ضل سابق عزها فهل هو من بعد الضلالة مهتد
احاطت بها الارزاء من كل جانب الى ان محتها معبداً بعد معبد
وحلق في آفاقها الجور بازياً مطلاً عليها صائناً بالتهدد
وينقض احياناً عليها فنارةً يروح وفي بعض الاحايين يغتدي
فيخطف اشلاءً من القوم حيةً ولم يقد المقتول منها ولم يدِ
ويرمي بها في قعر اظلم موحش به اين تسقط جذوة الروح تخمد
هو السجن ما ادراك ما السجن انه جلاد البلايا في مضيق التجلد
بناءٌ محيط بالتعاسة والشقا اظلم بريء او عقوبة معتدي

***

زُر السجن في بغداد زورة راحم لتشهد للانكاد افجع مشهد
محل به تهفو القلوب من الاسى فان زرته فاربط على القلب باليد
مربّع سورٍ قد احاط بشمله محيطٍ باعلى منه شيد بقرمد
وقد وصلوا ما بين ثانٍ وثالث بعقود سقف بالصخور مشيد
وفي ثالث الاسوار تشجيك ساحة تمور بتيار من الخسف مزبد
ومن وسط السور الشمالي تنتهي اليها بمسدود الاتاجين موصد
هي الساحة النكراء فيها تلاعبت مخاريق ضيم تخلط الجدّ بالدّدِ
ثلاثون متراً في جدارٍ يحيطها بسمك زهاء العشر في الجوّ مصعد
تواصلت الاحزان في جنباتها بحيث متى يبل الاسى يتجدد
تصعد من جوف المراحيض فوقها بخار اذا تمرر به الريح تفسد
هناك يود المرء لو قاء نفسه واطلقها من اسر عيش منكد
فقف وسطها وانظر حواليك دائراً الى حجرٍ قامت على كل مقعد
مقابر بالاحياء غصت لحودها بخمس مئين انفس او بازيد
وقد عميت منها النوافذ والكوى فلم تكتحل من ضوء شمس بمرود
تظن اذا صدر النهار دخانها كأنك في قطع من الليل اسود

فلو كان للعباد فيها اقامة لصلوا بها ظهرًا صلاة التهجد
يزور هبوب الريح الا فناءها فلم تحظ من وصل النسيم بموعد
تضيق بها الانفاس حتى كأنما على كل حيزوم صفائح جلمد
وحتى كأن القوم شدت رقابهم بحبل اختناق محكم الفتل معصد

***

بها كل مخطوم الخشام مذلل متى قيد مجرورًا الى الضيم ينقد
يبيت بها والهم ملء اهابه بليلة متبول الحشا غير مقصد
يميت بكذوب العزاء نهاره ويحيي الليالي غير نوم مشرّد
ينوء باعباء الهوان مقيدًا ويكفيه ان لو كان غير مقيد
وتقذفهم تلك القبور بضغطها عليهم لحر الساحة المتوقد
فيرفع بعض من حصير ظلالة ويجلس فيها جلسة المتعبد
وليست تقيه الحر الا نعلة لنفس خلت من صبرها المتبدد
وبالثوب بعض يستظل وبعضهم بنسج لعاب الشمس في القيظ يرتدي
فمن كان منهم بالحصير مظللا يعدّونه رب الطراف الممدّد
تراهم نهار الصيف سُفعًا كأنهم اثافيّ اصلاها الطهاة بموقد
وجوه عليها للشحوب ملامح (تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد)
وقد عمهم قيد التعاسة موثقًا فلم يتميز مطلق عن مقيد
فسيدهم في عيشه مثل خادم وخادمهم في ذله مثل سيد
يخوضون في مستنقع من روائح خبائث معها يزدد الحر تزدد
تدور رؤوس القوم من شم نتنها فمن بك منهم عادم الشم يحسد
تراهم سكارى في العذاب وماهم سكارى ولكن من عذاب مشدد
وتحسبهم دودًا يعيش بجأة وما هو من دود بها متولد

***

الا رب حر شاهد الحكم جائرًا يقود بنا قود الذلول المعبد
فقال ولم يجبر ونحن بمنتدى به غير مأمون الوشاية يندي
على اي حكم ام لاية حكمة ببغداد ضاع الحق من غير منشد
فادنيت للنجوى فمي نحو سمعه وقلت لان العدل لم يتبغدد
رعى الله حيًا مستباحًا كأنه من الذعر اسراب النعام المطرّد

وما صاحب البيت الحقير بناؤه ... بافزع من رب البلاط المهدد
وما ذاك الاّ انهم قد تخاذلوا ... ولم ينهضوا للخصم نهضة مُلبد
فناموا عن الجلى ونمت كنومهم ... سوى نوحة مني بشعر مغرّد
وهل انا الا من اولئك ان مشوا ... مشيت وان يقعد اولئك اقعد
وكم رمت ايقاظاً فاعيا هبوبهم ... وكيف وعزم القوم شارد مُرقد
نهوضاً نهوضاً ايها القوم للعلى ... لِتبنوا لكم بنيان مجد موطد
تقدّمنا قوم فابعد شوطهم ... وقد كان عنا شوطهم غير مبعد
وسدّ علينا الاعتساف طريقنا ... فاجحف بالغوريّ والمنجّد
افي كل يوم يزحف الدهر نحونا ... بجند من الخطب الجليل مجند
فيارب نفس من كروب عظيمة ... ويارب خفف من عذاب مشدد

بغداد — معروف الرصافي

كتاب الاشربة

لابن قتيبة

عني بنشره المسيو ارتوركي

احد علماء المشرقيات

وانما معنى قوله تعالى : « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس » (١) اي معصية والكفر والنفاق والمعاصي رجس يدلك على ذلك ان الازلام هي القداح فاي نتن لها ؟ وهذا مثل قوله : « واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم » (٢) اي نفاقاً الى نفاقهم ومثله : « ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » (٣) وكيف يكون رجساً اي نتناً وهي في الجنة ؟ قال الله تعالى : « وانهار من خمر لذة للشاربين » (٤) فوصفها باللذاذة ولم يصف بذلك غيرها مما ذكر معها . وقال : « يسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا » (٥) ولم يرد فيما يرى اهل النظر ان الزنجبيل باق فيها وانما ارادوا انها تلذع اللسان

---

(١) من المائدة آية ٩٢ (٢) براءة آية ١٢٦ (٣) يونس آية ١٠٠ (٤) الصافات آية ٤٥ (٥) الانسان آية ١٧

كأنها مزجت بزنجبيل . والشعراء تصف افواه النساء براح مزجت بالزنجبيل . قال المسيب ابن علس (١) (كامل)

وكأن طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر

وقال الاعشى يشبهه بالزنجبيل والعسل : (متقارب)

كأن جنيًا من الزنجبيـ ـل بات بفيها وأريا مشورا

وقال الجعدي (طويل)

وبات فريق منهم وكأنما سقوناطفامن اذرعات مفلفلا

ولهذا يقول الشعراء للخمر مزّة للذعها اللسان ولا يريدون الحموضة وقال بعض اصحاب اللغة : انما مَزّة بفتح الميم اي فاضلة من قولك : هذا امز من هذا اي افضل وارفع . وقال: « يطوف عليهم ولدان مخلدون با كواب وابار يق وكأس من معين لا يُصدّعون عنها ولا يُنزفون »(٢) فنفى عن خمر الجنة عيوب خمر الدنيا وهو الصداع ونفاد الشراب وذهاب العقل والمال ونحو هذا قوله في فاكهة اهل الجنة « لا مقطوعة ولا ممنوعة » (٣) فنفى عنها عيوب فواكه الدنيا لان فواكه الدنيا تأتي في وقت وتنقطع في وقت ولانها ممنوعة الا بالثمن والعرب تسمي الخمر دريافة يريد انها شفاء كالدرياق . قال ابن مقبل (٤) (متقارب)

سقتني بصهباء دريافـة متى ما تلين عظامي تلن

وقال الله تعالى : « يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما » (٥) فالاثم العذاب وكذلك الآثام قال : « ومن يفعل ذلك يلق اثاما » (٦) اي عقابًا واما منافعها فكثيرة لا تحصى . وانما تقع مضارها مع اكثار وتجاوز المقدار فاما الاقتصار فلم يكن لشاربها قبل التحريم فيها مضار . فمن منافعها ما يصيبه الناس من اثمانها ولولم تعتصر الاعناب لبارت على اهلها . ومن ذلك منفعتها الجسم لانها تدرّ الدم وتقوي المنة (٧) وتصفي اللون وتبعث النشاط وتفتق اللسان ما أُخذ منها بقدر الحاجة فاذا اخذ الافراط فكل شيء مع الافراط يضر . وكانت الاوائل (٨) تقول : الخمر حبيبة الروح وكان رجل من قدماء الاطباء اذا دخل على عليل لم يرَ فيه موضعًا لسقي الدواء سقاه الخمر الريحانية الممزوجة بالماء ليلقي الروح بحبيبه ويبعث من النفس بالمسرة ما قد اسقطه الداء فان رأى العليل قد قوي قليلاً واحتمل بعض الدواء عالجه . قالوا: ولذلك اشتق لها اسم

(١) من شعراء بكر بن وائل المعدودين وخال الاعشى (٢) الواقعة آية ١٧ — ١٩ (٣) الواقعة آية ٣٢—٣٣ (٤) هو تميم بن ابي مقبل جاهلي اسلامي (٥) البقرة آية ٢١٦ (٦) الفرقان آية ٦٨ (٧) في العقد المفدة (٨) في العقد بنو وائل

من الروح فسميت راحًا واصل الراح والروح والرَّوح من موضع واحد الا انهم خالفوا بينها في البناء ليدل كل واحد منها على معناه ويقارب معانيها كتقارب اسمائها فالروح روح الاجسام والروح النفخ لانه ريح يخرج عن الروح والروح طيب النسيم والروح في الريح الهابة . والراح على فعل واصله رَوح فقلبت واوه الفًا لما انفتحت وانفتح ما قبلها ثم اشتقوا الريحان من ذلك لرائحته وربما سموا الخمر روحًا قال النظام (بسيط)

مازلت آخذ روح الزق (١) في لطف ... وأستبيح دما من غير مجروح

حتى انثنيت ولي روحان في جسدي ... والزق (١) مطرح جسم بلا روح

وربما سموا الخمر دمًا لانها تزيد في الدم والنفس تتصل بالدم . وكذلك قالوا : نفست المرأة اذا حاضت . وقالوا نفساء لسيلان الدم . قال مسلم (طويل)

خلطنا (٢) دمًا من كرمة بدمائنا ... فاظهر في الالوان منا الدمُ الدمُ

وحدثني الرياشي عن مورج عن سعد بن سماك عن ابيه عن عبيد راوية الاعشى قال : قلت للاعشى : اخبرني عن قولك (كامل)

ومدامة (٣) مما تعتق بابل ... كدم الذبيح سليبها جريالها

فقال : شربتها حمراء وبلتها بيضاء يريد ان حمرتها صارت دمًا . وقال ابن الطثرية (٤) (طويل)

ويوم كظل الرمح قصر طوله ... دمُ الزق عنا واصطفاق المزاهر

وفي الخمر انها تسخي البخيل وتستخرج من اللئيم . قال عمرو بن كلثوم (٥) (وافر)

مشعشعة كأن الحص فيها ... اذا ما الماء خالطها سخينا

ترى اللحز الشحيح اذا امرت ... عليه لماله فيها مهينا

قوله : سخينا من السخاء واراد بقوله اذا ما الماء خالطها لانها لا تمزج الا عند الشرب قال طرفة (رمل)

واذا ما شربوها وانتشوا ... وهبوا كل جواد (٦) وطمر

ثم راحوا عبق المسك بهم ... يلحقون الارض هداب الأُزُر

وقد عيب بهذا طرفة لانه مدحهم بالعطاء وهم نشاوى ولم يشرط لهم ذلك في صحوائهم كما قال عنترة (كامل)

---

(١) في العقد الدن (٢) في العقد مزجنا (٣) في العقد وسلافة (٤) هو يزيد بن عبيد ابن عمرو ابن الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم (من كتاب من ينسب الى امه من الشعراء لابي جعفر محمد بن حبيب خط في الكتبخانة الخديوية مج ٣٢ ص ١٦٠) قتلته بنو حنيفة يوم الفلج فرثته اخته (الشعر والشعراء) (٥) هو المشهور بقتل عمرو بن هند الملك (٦) في العقد اصون

واذا شربت فانني مستهلك ماني وعرضي وافر لم يُكلم
واذا صحوت فما اقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي

والجيد في هذا المعنى قول زهير (طويل)

اخو ثقة لا يذهب الخمر ماله ولكنه قد يذهب المال نائله

يريد انه يعطي اذا بخلت النفوس . وقال ابن ميادة (١) (بسيط)

ما ان أُلح على الاخوان اسألهم كما يلح بعظم الغارب القتب
وما اخادع ندماني لأخدعه عن ماله حين يسترخي به اللبب

وقال بعض المحدثين (طويل)

كساني قميصاً مرتين اذا انتشى وينزعه مني (٢) اذا كان صاحيا
فلي فرحة في سكره وانتشائه (٣) وفي الصحو ترحات (٤) تشيب النواصيا
فيا ليت حظي من سروري وترحتي (٥) ومن جوده ان لا علي ولا ليا

وفي الخمر انها تشجع الجبان وتبعث الحصر العي وقيل للعباس بن مرداس في جاهليته لمَ لا تشرب الخمر فانها تزيد في جرأتك ؟ والترك وكثير من العجم يشربونها في الحرب وكانوا في الجاهلية ينالون منها يوم اللقاء وكذلك اصطبحها قوم من المسلمين يوم بدر قبل ان ينزل تحريمها وفي الخمر ان كل شارب يمل شرابه غير شرابها وان احداً لا يقدر يشرب منها فوق الري الا بالكره للنفس على القليل غير شارب الخمر وما اشبهها من المسكر . حدثني القطعي عن ابي داود قال حدثنا ابو بجرة عن الحسن قال: لو كان في شرابهم هذا خير لرووا منه وفي الخمر انها تزيد في الهمة والكبر وتهيج الانفة والاشر (٦) وسق قوم اعرابياً كؤوساً ثم قالوا له: كيف تجدك ؟ قال اجدني اسرّ (٧) واجدكم تحسنون (٨) الي وقال الاخطل (طويل)

اذا ما زياد علني ثم علني ثلاث زجاجات لهن هدير
خرجت اجر الذيل مني كأنني عليك امير المؤمنين امير (٩)

العلل بين النهل فلذلك قال ثلاث زجاجات لانها نهل وعلل قال النخل (١٠)

---

(١) هو الرماح بن يزيد من بني ذبيان وهو ممن ينسب الى امه من الشعراء (٢) في العقد عني (٣) في العقد بقميصه (٤) في العقد روعات (٤ في العقد وفرحتي (٦) يعني الفرح والنشاط (٧) في الاصل اشرّ (٨) في الاصل تحبون (٩) لم اقع على هذه الابيات في ديوان الاخطل الذي طبعه الاب صالحاني ببيروت (١٠) هو النخل بن عبيد بن عامر بن يشكر من اجمل العرب كان يتهم بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر حتى قالوا ان ولديها منه (الشعر والشعراء)

ولقد شربت من المدا مة بالصغير وبالكبير
فاذا سكرت فانني رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني رب الشويهة والبعير

وقال الاعشي (كامل)

ولقد شربت ثمانيًا وثمانيًا وثمان عشر واثنتين واربعا
من قهوة باتت بيابل صفوة تدع الفتى ملكًا يميل مصرّعا

وقال في الخمر انها تمد في الأمنية قال الاعشي (طويل)

لعمرك ان الراح ان كنت شاربا لمختلف آصالها وغداتها
لنا من صحناها خبث نفس وكابة وذكرى هموم ما تغب اداتها
وعند العشي طيب نفس ولذة ومال كثير عده نشواتها

وفي الخمر انها تطيب النفس وتذهب الهم وكانت ملوك العجم تجعلها مجمة للقلوب ومستراحًا من الشغل . قال اعرابي كان يشرب النبيذ ثم تركه وشرب اللبن (خفيف)

قد تركت النبيذ مذ كن عندي وتحببت رسلهن مذيقا
فوجدت المذيق يوجع بطني ووجدت النبيذ كان صديقا
تعد النفس بالعشي مناها وتسل الهموم سلاً رقيقا

وذكر الهيثم بن عدي عن ابي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير ان جبلة بن الايهم (١) قال لحسان : يا ابا الوليد اني مشغوف بالخمر فذمها لي فقال : (طويل)

لولا ثلاث هن في الكأس لم يكن لها ثمن من شارب حين يشرب
لها نزف مثل الجنون ومصرع دفي وان العقل ينأى فيذهب

فقال : افسدتها فامدحها فقال :

لولا ثلاث هن في الكأس اصبحت كأفضل مال يستفاد ويطلب
امانيها والنفس يظهر طيبها على همها والحزن يسلى فيذهب

وفي الخمر ان كل شارب على شرابه يصبر عنه غير الخمر فان لها ضراوة لا يشبهها الا ضراوة اللحم . وكان عمر رضي الله عنه يقول انقوا هذه المجازر فان لها ضراوة كضراوة الخمر . وقالوا : اهلك الرجال الاحمران اللحم والخمر . واهلك النساء الاصفران الذهب والزعفران وقال الشاعر حين منع اهل الشام من شرب الخمر : (طويل)

الم تر ان الدهر يعبر بالفتى ولا يملك الانسان صرف المقادر

(١) حديث جبلة بن الايهم وارتداده عن الاسلام مشهور

صبرت ولم اجزع وقدمات اخوتي وما انا عن شرب الطلاء بصابر
رماها امير المؤمنين بحتفها فخلانها يبكون حول المعاصر

فهذه وما اشبهها منافعها في الجاهلية واما منافع الميسر فان اهل الثروه والاجواد من العرب كانوا في شدة البرد وجدب البلاد وكلب الزمان يبسرون اي يتقامرون بالقداح وهي عشرة اقداح على جزور يجزئونها على ثمانية وعشرين جزءا وقد ذكرت هذا في كتاب الميسر وبينت كيف كانوا يفعلون فاذا قمر احدهم جعل اجزاء الجزور لذوي الحاجة واهل المسكنة واستراش الناس وعاشوا وكانت العرب تمدح باخذ القداح وتعيب من لا ييسر وتسميه البرم قال متمم يرثي اخاه مالكاً : (طويل)

ولا برما تهدي النساء لعرسه اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

ولم اسمع احداً من الاسلاميين ذكر انه قامر بالقداح فافحش الخاش القائل وهو الاخطل (وافر)

ولست بصائم رمضان طوعاً ولست بآكل لحم الاضاحي
ولست بقائم كالعير ادعو قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولاً وآكل ما تفوز به قداحي (١)

قال : واما ذمهم شربة المسكر بقلة الوفاء وسوء العهد فاسوأ من ذلك اقدامهم على السكر وترك الصلوة وركوب الفواحش واعجب منه عقدهم على ان كل مسكر خمر محض لعلة الاسكار وهم يشربونه وعلمهم بان الله حرم المسكر وهم لا يبيتون الا عليه فاذا عوتبوا على شربه مع الاعتماد انه خمر قالوا : لان نشربه ونحن نعلم انه ذنب نستغفر الله منه احب الينا من ان نشربه مستحلين له غير مستغفرين منه . وما ادري أمن الجرأة على الله اعجب ام من العلة . اما الجرأة على الله والاقدام على ما حرم في كتابه عندهم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ونكاح ذوات المحارم واما العلة فالطمع في المغفرة وهم مصرون لا ينصرم عنهم يوم جمعتهم الا عقدوا النية على الاجتماع في غده او بعد غده وانما يغفر الله بالاستغفار للمقلعين ويتقبل من المتقين وكيف ما جاهروا الله بالعصيان فيه وهم مستيقنون انه اسلم مما ركبوه وهم غارّون وماذا يقولون في رجل زنى وهو لا يعلم ان الله حرم الزنا وآخر زنى وهو يعلم ان الزنا من الكبائر التي تسخط الرب وتوجب النار ايهم اقرب الى السلامة واولى من الله بالعفو اوليس اهل العلم على ان الذي لا يعلم لا حدّ عليه من جلد وتعزير ولا رجم وان على الآخر حد البكر

(١) هذه الابيات تختلف عن الابيات الموجودة في ديوان الاخطل اختلافاً بيناً ولا شك ان هذه الرواية هي الصواب

ان كان بكرًا وحدّ المحصن ان كان محصنًا فهذه احكام الدنيا واما احكام الآخرة فلولا كراهة التألي على الله لقلنا في الذي ركب الفاحشة وهو لا يعلم ان الله حرمها معفو عنه . وقد روي ان رجلاً اقرّ بالزنا بأُم مثواه فلما أُمر باقامة الحد عليه قال : ما علمت ان الله حرم ذلك فاستحلف ثم درىء عنه الحد . وكانت العلماء تنهى العوام عن كثرة السؤال وقالوا لان يؤتي الشيء على جهل به اسلم من ان يؤتى على علم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البرّ ما سكنت اليه القلوب واطمأنت اليه النفوس والاثم ما حاك في صدرك فكرهت ان تطلع عليه الناس .

تأتي البقية

التقية

لما قرأ احد كبار علماء دمشق ما كتبناه في التقية في الجزء الثالث من مجلد هذه السنة كتب الينا يقول : « ان مسألة جواز التقية قولاً وعملاً عند الصفرية الزيادة فيه نظر اذ المعلوم انها جائزة عندهم قولاً لا عملاً لان المذاهب فيها عند الخوارج ثلاثة عدم جوازها اصلاً عند الازارقة وجوازها قولاً وعملاً عند النجدات وجوازها قولاً لا عملاً عند الصفرية الزيادية » .

وقد عقد في كتاب مشارق العقول لعبدالله بن حميد السالمي العماني الاباضي فصل في التقية فقال :

اجز لتقية بقول ان خلص ... من نيل ضرّ من به القول يخص
وامنعها في اتلاف نفس ان جنى ... واخلف في اتلاف مال ضمنا
ولم تجز لتقية بالفعل ... كالحرق والغرق ومثل القتل
لكن جواز ما أُبيح في الضرر ... كالاكل للميتة والدم اشتهر
ومكره جاء بما الحد يجب ... عليه في ان لا يحدّ نستحب

وقال ابن حزم في الملل والنحل: وقد اجمع اهل الاسلام على ان انسانًا لو سمع مظلومًا قد ظلمه سلطان وطلبه ليقتله بغير حق ويأخذ ماله غصبًا فاستتر عنده وسمعه يدعو على من ظلمه قاصدًا بذلك السلطان فسأل السلطان ذلك السامع عما سمعه منه وعن موضعه فانه ان كتم ما سمع وانكر ان يكون سمعه او انه يعرف موضعه او موضع ماله فانه محسن مأجور مطيع لله عز وجل وان صدقه فاخبره بما سمعه منه وبموضعه وموضع ماله كان فاسقًا

عاصياً لله عز وجل فاعل كبيرة مذموماً تماماً وقد أبيح الكذب في اظهار الكفر في التقية . ونقل الاستاذ غولدسير في رسالته التقية في الاسلام عن بعض علماء الشيعة : ان الله جعل هذه التورية مما حفظ به شيعتنا ومحبينا . ونقل : مؤمن لا تقية له كمثل جسد لا رأس له. ونقل من كتاب كشف القناع عن وجوه حجة الاجماع ان امير المؤمنين كان منذ قبض الله نبيه في حال تقية ومداراة ومدافعة لاستيلاء من استبد بالامر الخ ... ان التقية لم تفارقه ولم يجد منها بداً في حال من الاحوال ولم يتمكن من تتبع احوال القوم وكان يقول لقضاته وقد سألوه بماذا نحكم فقال :احكموا بما كنتم تحكمون حتى يكون الناس على جماعة او اموت كما مات اصحابي .

هذا ما اتانا من النقول بعد طبع ذاك المبحث فالحقناه به تتمة له والغاية منه كما علمت تاريخية اجتماعية صرفة وذلك لان للتقية علاقة كبرى بمجتمعنا ونهضتنا

التعليم في المانيا

اعظم حسنة تسجل لالمانيا فصلها التعليم الديني عن التعليم الدنيوي بدون ان تمس احدهما بسوء وتعطي لاحدهما ما سلبته من الثاني ولذلك استقام امرها واصبحت مدرسة العالم فلم تغلُ في محاربة الدين كفرنسا ولم تبالغ في التعصب له كاسبانيا بل كانت بين بين واليك ما قاله صاحب كتاب المانيا الحديثة ونشوئها في كيفية فصلها للتعليمين على اسلوب حكيم قال ما ترجمته :

جاهدت المانيا في سبيل نشوئها المادي ولم تترك الجهاد في طريق ارتقائها العلمي واحداث تعليم وطني لبلادها تتعاوره الايدي بالاصلاح كل حين . ومن المحقق ان الحكومة الالمانية اخذت على نفسها في القرن الثامن عشر ان تنظم قواها الدفاعية والهجومية وان تنمي شعبها وثروتها وتسهر على امن رعاياها ورفاهيتهم المادية ولكنها لم تقف عند هذا الحد في القرن التاسع عشر بل ما كاد يطلع فجره حتى قام الفيلسوفان فيختي وهيجل يحققان الامالي بما انشآه من الاوضاع العلمية ويدلان الالمان على الطرق التي تبلغ بهم اقصى درجات الارتقاء . وما برح هذا الاعتقاد منذ نهض هذان العظيمان ينتشر ويقوى حتى ادى الى نتيجتين عظيمتين احداهما تولي الحكومة لادارة التعليم بدل الكنيسة واخذها على عاتقها تنسيقه ومراقبته وتوفرها على نشره على اختلاف درجاته توفراً لم يسبق له نظير وثانيتهما ان الامة انتظمت

حافظا على التدريج فابقت بتسأل عنه مع جميع افرادها ورأت ان من واجبها ان تحتفظ برأس مالها الانساني فتحمي المساكين والضعفاء خاصة وتدفع عنهم عوادي اهلاك واسواء الفساد الادبي وقد اليهم يد المعونة في الازمات وتقيهم عوارض العجز والزمانة . وهكذا كان نجاح التعليم العام وتنظيم التضامن الاجتماعي اول ما بذلت الحكومة الالمانية عنايتها به .

اخذت الحكومة اولاً بتتابع تصبغ التعليم بصبغة عامية وتسلب من الكنيسة هذا الحق بعد ان كان في القرون الوسطى لها وحدها القول الفصل في شؤون التعليم . ففي اواخر القرون الوسطى سقطت الكليات تحت مراقبة الحكومة وبعد دخول عيد الاصلاح « قيام لوثيروس المصلح في النصرانية » سقطت في يدها المدارس الثانوية ايضاً . وفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر جاء دور المدارس الابتدائية فآل امرها الى الحكومة تصرفها كما تشاء وتهوى . قبضت بيدها على ازمة التعليم واخذت في ادخال التغيير عليه . فقد كانت الكليات والمدارس اللاتينية فيما سبق ترى من اهم واجباتها ان تخرج رهباناً ولاهوتيين فتعنى المدارس الابتدائية بنشر مبادىء الاعتقاد الديني بين الامة وتعد الاطفال ليختلفوا بعد الى البيع ويحضروا وعظ يوم الاحد . بيد ان المدارس لم تلبث ان نزعت عنها الصفة الدينية فاصبحت مجامع علمية لا يتصدر فيها اللاهوتيون اليوم كما كانوا امس ولا يتصدر فيها الفلاسفة واللغويون كما كانوا في اوائل القرن التاسع عشر بل الصدارة فيها كل الصدارة لرجال العلم والاطباء .

انتظمت المدرسة الالمانية على صورتها الحاضرة في اوائل القرن التاسع عشر وخلعت عنها اللباس الديني بل صبغته بصبغة الفكر الادبي المولد من الحضارة اليونانية التي ازهرت دراستها على ذاك العهد في المانيا وانشأت تعلم تعليماً من مجملات العلوم كعلم اللغات والتاريخ والرياضيات والعلوم الطبيعية . ثم نزعت يدها من يد الكنيسة بتحريض بستالوزي (١) واخذت تنمي في نفوس التلاميذ الاعتماد على النفس وحب العمل وتبث فيهم بحسب مطالب اللاهوت الادبي الذي قال به « كانت » الفيلسوف القول بحب الذات او بالشخصية Conscienc de la personalité الحرة المستقلة . ولئن كان التعليم العام نحو منتصف القرن الثامن عشر قد بقي على صبغته الدينية ولا سيما في البلاد التي تنتشر فيها الكثلكة فان

(١) حنا هنري بستالوزي (١٧٤٦ — ١٨٢٦) من كبار علماء التربية في الالمان نشر بين قومه مبادىء روسو الفيلسوف ودعا الى تعليم الالمان ولا سيما الفقراء منهم الصناعات والزراعة وعلم مئات من ابناء الطبقات البائسة في بيته وآواهم على قلة ذات يده . وله مصنفات كثيرة نفعت المانيا في عهضته

المدرسة الابتدائية في القرن التاسع عشر اصبحت على التدريج مدرسة وطنية تشرب فيها قلوب الشبان محبة الوطن كأنها دين ثان . كل ذلك بفضل العناية التي صرفت لتعليم اللغة الالمانية وتاريخ المانيا .

ولا يزال للكنيسة الى اليوم تأثير مهم في المانيا ولا سيما في دائرة التعليم الابتدائي . وقد ظلت المدرسة على الجملة تقر بالايمان وتعترف به وما زالت تعلم تعليماً دينياً اعتقادياً . ومن العجب ان ترى تحت مدارس كاثوليكية او برتستانتية او اصلاحية تعلم تحت حماية الحكومة حقائق دينية بادية التناقض وهي خاضعة في كثير من الاحوال للتفتيش الكنائسي . وقد ثبت ان الاصوات ما برحت تعلو بالشكوى من هذه الحالة فيشتكي المخالفون من الزام اولادهم بتعليم مناف لايمانهم او لمعتقدهم العلمي . حتى انك لترى في المعلمين كثيرين يقيمون الحجة على الاكراه في تعليم الدين بحسب قانون لا ينطبق على معتقداتهم الخاصة . وهناك حزب عظيم من القوم يطالب على الدوام بالاستكثار من المعاهد التي تقبل التلاميذ من كل المذاهب .

والظاهر ان المانيا لا تنوي الآن نزع النصرانية من المدرسة حتى ان ارباب الافكار الحرة وهم بعيدون عن كل معتقد لا يرون بان نزع الصبغة الدينية من التعليم في المانيا هو من الممكن او مما يرغب فيه وهم معتقدون بانه متى اصبحت المدرسة «كافرة» لا دين لها يحوّل قسم وافر من سكان البلاد ولا سيما من الكاثوليك وجوههم عن المدارس العامة وينظمون لابنائهم مدارس خاصة يتلقى فيها الاطفال التعليم الديني الذي يراه ذووهم ضرورياً لهم . على ان جمهوراً كبيراً من الالمان لا يرون «المدرسة الحرة» على الطريقة الفرنسوية من الانموذجات التي تحتذى والامثلة التي ينسج عليها .

يرى المسيو بولسان وهو من مشاهير المؤرخين في علم التربية ومن ارباب التأثير ان فرنسا الكاثوليكية ان رأت اضطرارها الى تأسيس مدرسة عامية حرة لتكون متشبعة بالروح الوطنية فان هذه الضرورة لم توجد لحسن الطالع عند الالمان لانهم اعتادوا مجاراة للنشوء الديني ان يوفقوا بين العلم والدين والمعرفة والايمان ولم من الثوراة اداة لا مثيل لها من التربية الادبية لا تغني عنها اجمل الشذرات المنتخبة من كتب الآداب العامة . اذاً فلا مانع يمنع الاساتذة من احتفاظهم بالتعليم الديني والتوراة وان يعدوا عقول النابتة الالمانية لتعليمها مبادىء النصرانية التاريخية مشذبة من صبغتها الدينية مقتصراً على ما فيها من لباب الآداب . اما انا فلا اتعجب مما يذهب اليه العالم المشار اليه من هذا التوفيق اذا كان هو المقبول بين اهل الطبقة الوسطى في البلاد اكثر من المذهب المتطرف الذي ينبذ من

المدرسة كل تعليم ديني . فالتعليم العام على هذا الوجه يتحرر من قيوده كما انه يكون اكثر انصباغاً بالصبغة الديمقراطية .

ولقد كان التعليم في المانيا بادىء بدء مقصوراً على طائفة خاصة من الناس ثم صار تعليماً اكليريكياً في القرون الوسطى ثم عالياً وارستوقراطياً على عهد النهضة (سنة ١٤٥٣) الى القرن الثامن عشر ثم اصبح مدنياً بامتزاجه بفلسفة انكار الوحي والانصباغ بصبغة الحضارة اليونانية فساغ بذلك لاهل الطبقة المتحضرة من الالمان ان يرأسوا الحركة العقلية . وفي القرن التاسع عشر اقتربت المانيا شيئاً فشيئاً مما كانت ترمي اليه من التهذيب الوطني الذي نادى به فيختي في خطبه للامة الالمانية .

زالت الحواجز التي كانت تحول دون اصناف التعليم ولم تبق اللغة اللاتينية لغة اجبارية لكل من اراد التهذيب العالي . وانتزع من المدرسة المدنية على التدريج ما كان لها سابقاً من صبغة مدرسة لاتينية وكان من النجاح الذي تم للمدارس الابتدائية او قرب بينها وبين المدارس الثانوية وان قلت على التوالي مسافة الخلاف بين الاساتذة الذين تخرجوا في المدارس الدينية وبين الاساتذة الذين تلقوا التعليم العلمي لا سيما وان التعليم على اختلاف درجاته اصبح يلبس ثوب العمل والحقائق . وكان تعليم الطبقات العالية في المجتمع الالماني في اواخر القرن الثامن عشر عبارة عن تحسين الذوق والادب فخلف هذا التعليم في اوائل القرن التاسع عشر التعليم الادبي . وقد رأينا النشوء نحو الفلسفة الحسية الذي تم بين الطبقات المستنيرة وكان من امر هذا النشوء بالطبع رد فعل في معاهد التعليم فغدا التعليم على اختلاف درجاته اكثر تشبعاً بالروح الادبية او الفلسفية واقل تمسكاً بالنظريات . وقامت بجانب المدرسة الادبية مدارس احدث من مدارس الفلسفة الحقيقية والحسية وزادت العناية بتعليم العلوم واللغات الحية فكانت وافية بحاجات اهل المدن الصناعية او التجارية ونشأت بالقرب من الكليات في كل مكان مجامع علمية ما زالت على ارتقاء ونماء . وهكذا اخذ يتداعى الحاجز القديم الذي كان قائماً بين المتعلم في القديم العلوم الادبية واللغوية والأمي الذي لم يكن يعرف اللغات المدرسية وحل التهذيب الديمقراطي العام الذي لا يتطال اليه كل امريء ولم يكن واحداً للكل بل يحق لكل فرد ان يأخذ منه بقدر ما تسمح له قواه الطبيعية والعقلية محل التهذيب الادبي واللغوي الخاص بعلية القوم واهل الطبقة المستنيرة منهم .

وعلى الجملة فقد عملت المانيا في خلال القرن الماضي بهمة لم تعرف الوناء في سبيل نشر العلم بين جميع ابنائها ولا شك ان حماستها في ميدان المدارس اختلفت صعوداً وهبوطاً في تلك الحقبة من الزمن . فكانت شديدة للغاية في خلال الثلث الاول من القرن الذي

وضعت فيه أسس نظم التعليم العام من المدرسة الابتدائية الى الكليات ثم بردت في خلال الثلث الثاني من القرن خاصة فكانت حكومات المانيا على عهد الثورة بين سنتي ١٨٣٠ و١٨٧٠ يحذرن بل يعادين التعليم العام ولكنه عادت اليه حياته غداة الغلبة التي كتبت لبروسيا وتوطيد كلمة الامبراطورية . وقد جرت بين الناس جري المثل بان المعلم الالماني كان هو الظافر الحقيقي في معركتي سادوفا وسيدان وان غلبة المانيا انتها في الحقيقة من سرّ تقدمها في مضمار العلم والتهذيب . لاجرم انه بدرت اليوم بوادر الشك في فضيلة تأثير التعليم ولذلك تلاحظ في الاندية التي لها اتصال بالكليات اعراض التواني وتجد العقول في حالة تشبه الحالة التي دفعت بعض ارباب الافكار عندنا « الفرنسويين » ان يطالبوا باسقاط العلم و « نفليسه » فاثبتوا والسويداء مغلبة على عقولهم بان العلم الذي يرجى ان يكون منه كشف اسرار ما في الكون وان يأخذ بايدي الآخذين من معينه فيقودهم الى وجهة عامة ويسوق ارادتهم سوقاً لم يؤد قط الى حقائق قطعية مطلقة . بلى كان من منافعه ان حلّ بعض المعضلات حلاً قليلاً موقتاً لا يزال على الدهر موضع النظر والتنقيح . وكثير في الناس من شعروا دفعة واحدة بان قد انتهكت قواهم بما يقضي عليهم تعلمه من المعارف الكثيرة التي توهلهم الى الاحاطة بعض الشيء في دائرة من دوائر العلم ولذلك يئسوا او كادوا من هذه الحالة التي توشك ان تكون مستديمة هذا التشوه الذي لا حدّ له وتستلزمه دواعي العلم . وربما ظهر اليوم ما كان يخالج افئدة الضيقة الخاصة وبعض اهل الطبقة الوسطى من سوء الظن بالمستقبل الذي استحكم منها حوالى منتصف القرن . وتتساءل الحكومة فيما اذا كانت لم تسرف في بث التعليم بين طبقات الامة وفيما اذا لم يكن التعليم نقمة لا نعمة على قسم عظيم من الامة وفيما اذا كان لا تتعذر ادارة شؤون امة نالت من التعليم شطره او نصفه . وقد ساعد القلق الذي سببه نجاح الاشتراكية على نشر هذه الشكوك بين الناس كانوا منذ عهد غير بعيد مقاومين كل المقاومة بل مقتنعين كل الاقتناع بانه من الفروض العينية على الحكومة ان تبذل العلم وتنشره بين جميع رعاياها .

وقد ظل الرأي المعتدل موقناً على الجملة كما قال المسيو بولسن بانه لا تحرز المكانة العليا في الجياد العام نحو التفوق والسلطة الا الامم التي تحسن ان تضمن لفتيانها تعليماً متيناً وتهذيباً راسخاً بما تنظمه من المدارس المتقنة وما تكوّنه من البيوت الناجحة من حيث شؤونها الاقتصادية والسالمة من شوائب المفاسد الاخلاقية

ويرى العارفون ان تعويل الارتقاء الذي فازت به المانيا اكثر من اسراع الالمان قبل جميع الامم في وضع التعليم الاجباري قبل غيرهم ومن عنايتها بتخريج اساتذة عارفين ما يمكن

في جميع فروع التعليم . ويستنتجون من ذلك بان جبل السواد الاعظم من الامة لا يتأتى ان يكون البتة ضمانًا لراحة مملكة وبقائها وان الظاهر من مصلحة الحكومة الملوكية انها تطلب تفاني الحكومة في نشر التعليم وان المستقبل مضمون للأمم التي تحسن اكثر من غيرها حل مشكلة التعليم الوطني .

صحف منسية

وصف عاصمة الاندلس

قال لسان الدين بن الخطيب في « كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة » عند ما ألمّ باسم هذه المدينة ووضعها ووصفها الجغرافي ما نصه : وبردها لذلك من المنقب الشتوي شديد وتجمد بسببه الادهان والمائعات ويتراكم بساحاتها الثلج في بعض السنين فجسوم اهلها بصحة الهواء صلبة وسحانهم خشنة وحضومهم قوية ونفوسهم بمكان الحرية الغريزي جريئة وهي دار منعة وكرسي ملك ومقام حصانة . وكان ابن غانية يقول للمرابطين في مرمونة وقد عوّل عليها للامتساك بدعوتهم « الاندلس درقة وغرناطة قبضتها فاذا تجشمتم يامعشر المرابطين القبضة لم تخرج الدرقة من ايديكم » ومن ابدع ما قيل في الاعتذار عن شدة بردها مما هو غريب في معناه قول القاضي ابي بكر بن شبرين .

رعى الله من غرناطة متبوا ... يسر كئيبًا او يجير طريدا
تبرم منها صاحبي عند مارأى ... مسارحها بالبرد عدن جليدا
هي الثغر صان الله من اهلت به ... وماخير ثغر لا يكون برودا

وقال الرازي عند ذكر كورة البيرة: ان ارضها سقي غزيرة الانهار كثيرة الثمار ملتفة الاشجار واكثرها ادواح الجوز ويحسن فيها قصب السكر ولها معادن جوهرية من ذهب وفضة ورصاص وحديد وكورة البيرة اشرف الكور نزلها جند دمشق ... وخصها لا يشبه بشيء من بقاع الارض طيبًا ولا شرفًا الا بالغوطة غوطة دمشق . وقال بعض المؤرخين بعد ان عدد نباتاتها ومعادنها : وكفى بالحرير الذي فضلت به فخرًا وقنية وغلة شريفة وفائدة عظيمة تمتاز منها البلاد وتجلبه الرفاق فضيلة لا يشاركه فيها الا البلاد العراقية وخصها الافيح الشبه بالغوطة الدمشقية حديث الركاب وسمر الليالي قد دحاه الله في بسيط سهل تخترقه

المذانب (مسيل الماء الى الارض) وتخللها الانهار والجداول وتتزاحم فيه الغرف والجنات في ذرع اربعين ميلاً او نحوها تنبو العين فيها عن وجهه ...

وبعد ان فصل المؤلف كتابه الى فصول كثيرة وانى على ذكر ما آل اليه حال من ساكن المسلمين بغرناطة من النصارى وما ينسب لهذه المكورة من الاقاليم التي نزلتها العرب وما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى والجنات والجبت قال في احصاء بيوتها : وتذهب هذه الغروس المغروسة قبلة ثم بفيض تيارها الى غرب المدينة وقد كثرت بها الجبال الشاهقة والسفوح العريضة والبطون الممتدة والاغوار الخائفة مكللة بالاعناب غاصة بالادواح متزاحمة بالبيوت والابراج بلغ الى هذا العهد عدها في ديوان الحرص الى ما يناهز اربعة عشر الفاً نقلت ذلك من خط من يشار اليه في هذه الوضيعة . وقال في فصل آخر : ويحيط بما خلف السور من المباني والجنات في سهل المدينة العقار الثمن العظيم الفائدة المتعاقب الغلة الذي لا يعزفه الحمام ولا يفارق الزرع من الارض البيضاء ينتهي ثمن المرجع منها العلي الى خمسة وعشرين ديناراً من الذهب العين لهذا العهد فيه مستخلص السلطان ما يضيق عنه نطاق القيمة ذرعاً وغبطة وانتظاماً يرجع الى دور ناجمة وبروج سامية و يبادر فسيحة ومصاب للحمائم والدواجن ماثلة منها في طوق البلد وحمى سورها جملة ... الى ان يقول بعد ذكر القرى والدساكر : ان اكثر هذه القرى امصار فيها ما يناهز خمسين خطبة تنصب فيها لله المنابر وترفع الايدي وتتوجه الوجوه . وجملة المراجع العلية المرتفعة فيها في الازمنة في العام بتقريب ومعظمها السقيا الغبيط (اغبط النبات غطى الارض وكثف وتدانى كأنه من حبة واحدة) السمين الغالي ما ينيف على اثنين وستين الفاً وينضاف الى ذلك مراجع الاملاك السلطانية ومواضع احباس المساجد وسبل الخير ما ينيف على ما ذكر فيكون المجموع باحتياط خمسمائة الف وستين الفاً والمستفاد فيها من الطعام المختلف المجنوب للجانب السلطاني ثلاثمائة الف قدح و يزيد ويشتمل سوادها وما وراءه من الارجاء الطاحنة بالماء ما ينيف على مائة وثلاثين رحى الحقها الله جناح الامنة ولا قطع عنها مادة الرحمة بفضله وكرمه .

وقال في وصف اخلاق اهل ذلك القطر وعاداتهم وملابسهم : فابصرهم في المساجد ايام الجمع كأنهم الازهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الاهوية المعتدلة . وذكر اصولهم ونسابهم وجندهم واسلحتهم ثم قال : واعيادهم حسنة مائلة الى الاقتصاد والغنى بديانتهم فاش حتى في الدكاكين التي تجمع صنائعها كثيراً من الاحداث كالخفافين ومثلهم واشار الى طعامهم وفواكههم وصرفهم (سكتبهم) فقال ما نصه : وعادة اهل هذه المدينة الانتقال الى حلل العصير اوان ادراكه بما تشتمل عليه دورهم والبروز الى الخوص باولادهم وعيالهم معولين

في ذلك على شهامتهم وا- لتهم على اكتناد دوابهم واتصال امصارهم بحدود ارضه . وحليهم في القلائد والدمالج والشنوف والخلاخل الذهب الخالص الى هذا العهد في اولي الجدة والنجبن في كثير من آنة الرجلين فيمن عداهم والاحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والزمرذ ونفيس الجوهر كثير ممن ترتفع طبقاتهم المستندة الى ظل دولة او اصالة معروفة موفرة

وحريمهم حريم جميل موصوف بالحسن وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب النشر وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المجاورة الا ان الطول يندر فيهن وقد يبلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات والتنافس بالذهبيات والديباجيات والتماجن في اشكال الحلي الى غاية نسأل الله أن يغض عنهن فيها عين الدهر ويكف كف الغدر ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة وان يعامل جميع من بها بستره ولا يسلبهم خفي لطفه بعزته وقدرته

وصف لسان الدين امة ملك قشتالة (Castille) فقال : وحال هذه الامة غريبة في الحماية الممزوجة بالوفاء والرقة والاستهانة بالنفوس في سبيل الحمية عادة العرب الاول واخبارهم في القتال غريبة من الاسترجال والزحف على الاقدام امرهم وماثورهم والجثو في الارض او الدفن في التراب والاستظهار في حال المحاربة ببعض الالحان المهيجة ورماتهم قسيهم عربية جافية وكلهم في دروع ولا لجام عندهم والتقهقر مقدار الشبر ذنب عظيم وعار شنيع ورماتهم يسبقون الخيل في الطراد وحالهم في باب التحلي بالجواهر وكثرة آلات الفضة غريب

مطبوعات ومخطوطات

الاحاطة في اخبار غرناطة

قلّ في كتب الادب والتاريخ ما ينتفع به مطالعه في امور كثيرة لقلة الجيد منها وذلك لان المصنفات كالبضائع فيها الجيد وفيها الرديء والمصنفين اصناف فقسم يؤلف وقد تمت ادواته وتشبع بما يود الخوض فيه فلا يكتب الا الثمين النافع وقسم بين ذلك وقسم يخلط ويخبط لا هوى له الا في ذكر اسمه وحشر نفسه في عداد المصنفين . وصاحب كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة هو من اهل الصنف الاول ما كتب كتاباً الا عن فكر وروية وناهيك بما يصدر من نفثات ابن الخطيب حسنة الاندلس ونابغة عصره بل كثير من العصور قبله وبعده .

وفقت شركة طبع الكتب العربية بمصر الى نشر الجزئين الاولين من هذا الكتاب واوقفت طبع الثالث لكثرة التحريف الذي وجدته فيه بحيث يتعذر على القاريء كشف وجه الحقيقة منه . ولئن وقع في هذين الجزئين اغلاط وتحريفات التبس بها الحق بالباطل وكانت العناية تقضي استثبات صحتها وارجاعها الى نصابها لو امكن فان هذا التهاون يغتفر في جانب تلك الذخيرة التي نبشوها ونشروها وهي ولا جرم من بعض ما تعمر به بناء الشعر والنثر ولسان الدين حجة فيهما قاطعة .

وان لنا ريبة في كون هاته المجلدات الثلاث هي كل ما كتبه المؤلف في رجال عاصمته وعبارة صاحب نفح الطيب تساعد على هذا الشك . قال : ان كتاب الاحاطة هو الطائر الصيت بالمشرق والمغرب والمشارقة اشد اعجاباً به من المغاربة واكثر تهجاً بذكره مع قلته في هذه البلاد المشرقية وقد اعتنى باختصاره الاديب الشهير البدر البشتكي وسماه مركز الاحاطة في ادباء غرناطة وهو في مجلدين سنة ٧٩٣ وقد جعل كل اربعة اجزاء من الاصل في مجلد اذ هو في مجلدين ونسخة الاصل في ثمان مجلدات . وقف سلطان الاندلس نسخة منه على بعض مدارس غرناطة وكانت في اثني عشر سفراً متقنة الخط والعمل وكان لسان الدين ارسل في حياته نسخة من الاحاطة الى مصر وقفها على اهل العلم وجعل مقرها بخانقاه سعيد السعداء قال المقري وقد رأيت المجلد الرابع منها وكان في ثانية اجزاء ورأيت بظهر اول ورقة من هذه النسخة خطوط جماعة من العلماء وعلمت ان المكتوب في الوقفية ثمان مجلدات لا اثني عشر فلعل ذلك الاختلاف بسبب الكبر والصغر اه

قلت وهذه العبارة كتبت بعد الالف . وكيفما كانت حال الكتاب كبراً وصغراً فقد أخرج الى عالم المطبوعات نموذجات من نثر لسان الدين وشعره ونثر جماعة من اصحابه وشعرهم . ابتدأ الجزء الاول بوصف جغرافية الاندلس الطبيعية والسياسية ولا سيما عاصمتها بحيث يتراءى لك متى قرأته ان الكاتب عصري نشأ في حجر حضارة هذا القرن

للسان الدين نمط خاص به في الانشاء وتعبيرات لا تجدها لغيره من كتاب المغرب والمشرق تتمثل في كلامه روحاً عالية ولفظاً شفافاً ومعنى جزلاً . وما كان نسقه ليرضي كل الرضى لو لم يكن يغوص على بدائع المعاني التي يمليها عليه اشمئزازه من محيطه ونفوزه من خدمة دولته حتى كان يدعو ان يلطف الله بمن ابتلي بذلك وان يخلصه خلاصاً جميلاً . وكيف لا تدفعه حميته الى القول وقد استولى العدو في ايامه على معظم قواعد الاندلس مثل اشبيلية وقرطبة ومرسية وجيان والمرية ولسان الدين يستصرخ ونزعاء السلطة في غوهم وغرورهم مسترسلون . ولئن خطبه « دون الجبر من القول لكن التقية » فما نجا من يرميه بالزندقة

ايضاً في كتابه هذا لان لسان الدين املاه بلسان الانصاف والانطلاق فعزّ على نظرائه خروجه عن مألوف العادة في ذكر تراجم الناس حتى يُخيل اليك انهم كلهم كأسنان المشط في الاستواء .

تقرأ الترجمة في الاحاطة وهو في تراجم الرجال الذين نشأوا فيها او مروا بها وبعبارة اخرى هو تاريخ الاندلس ورجالها فيتجلى لك المترجم به كأنك تراه وما اظن ان كتاب التراجم من الافرنج اليوم باقدر على وصف رجالهم من صاحبنا لسان الدين ولا عجب فهو اوروبيّ ايضاً غذي بتلك التربة المسكية والهواء الصافي والماء العذب والبناء تأثير في الطباع وما المرء الا نسخة ثانية من محيطه وبيئته .

ولم يقصر المؤلف كتابه على ذكر الملوك والرؤساء والفقهاء واهل الطرق كما هي عادة معظم المؤرخين بل ذكر كثيراً ممن غلبت عليهم المعارف الدنيوية مثل ابي القاسم اصبغ بن محمد (٤٢٦) احد مفاخر الاندلس قال وكان محققاً لعلم العدد والهندسة مقدماً في علم الهيئة والفلك والنجوم وكانت له مع ذلك عناية بالطب وذكر تآليفه على عادته في اثبات حسنات المترجمين وسيئاتهم . ومثل ابي علي الصفار حسن بن محمد رئيس الموقتين بالمسجد الاعظم من غرناطة (٧١٦) وكان فقيهاً اماماً في علم الحساب والهيئة اخذ عنه الجلة والنبهاء قائماً على الاطلال والرخائم والآلات الشعاعية ماهراً في التعديل مع التزام السنة والوقوف عند حدّ العلماء في ذلك مداوماً النظر ذا استنباطات ومستدركات وتواليف نسيج وحده ورجعة وقته . ومثل ابي جعفر احمد بن حسن بن باضة السلمي الموقت بالمسجد الاعظم بغرناطة قال وكان نسيج وحده وقريع دهره معرفة بالهيئة واحكاماً للآلة الفلكية ينحت منها بيده ذخائر يقف عندها النظر والخبرة (؟) جمال خط واستواء صنعة وصحة وضع بلغ في ذلك درجة عالية ونال غاية بعيدة حتى فضل بما ينسب اليه من ذلك كثيراً من الاعلام المتقدمين وازرت آلاته بالحمائريات (١) والصفاريات وغيرها من آلات المحكمين وتغالى الناس في اثمانها اخذ ذلك عن والده الشيخ المتفنن شيخ الجماعة في هذا الفن . ومثل ابي العباس احمد ابن مفرج الاموي النباتي المشهور (٦٣٨) ومن ضارعهم في علمهم من الاطباء والفلاسفة والحكماء والكيماويين ممن لا يعدهم اكثر المؤرخين في صنف العلماء .

وذكر شهيرات النساء في عصره مثل نزهون بنت القلاعي وام الحسن بنت القاضي

(١) في التاج : وفي حديث جابر فوضعته على حمارة من جريد هي ثلاثة اعواد يشد بعض اطرافها الى بعض ويخالف بين ارجلها تعلق عليها الاداوة ليبرد الماء وتسمى بالفارسية سهپاي والحمائر ثلاث خشبات يوثق ويجعل عليهن الوطب لئلا يقرضه الجرقوص واحدتها حمرة

ابي جعفر الغنجالي وحمدة بنت زياد المكتبي وحفصة بنت الركوني وغيرهن من الادبيات وتجوز في ايراد بعض مجالسهن مع ادباء الاندلس وما كان في ذلك بأس في عصره . والكلام على الجزء الثاني لا يخرج عن حد الكلام على الجزء الاول وان كان في الثاني تطويل في بعض التراجم كاطالته في ترجمة ابي عبدالله محمد القرشي التيماني فانه كتب تسعاً وعشرين صفحة بين شيوخه ونثره ونظمه ونكته مما اخرجه عن العدد وكذلك ترجمة ابن زمرك احد اعيان ادباء الاندلس كتب فيه عشرين صفحة وقيل ان ابن زمرك كان يعد من جملة الساعين بنكبة ابن الخطيب . وقد يحمل المؤلف الحنق فيطلق عنان القلم في ترجمة الكبراء ايضاً كما وصف اسماعيل بن يوسف بن اسماعيل بن فرج بن نصر السلطان الذي احتال على اخيه المتوثب على ملكه ومثل ما ترجم به محمد بن اسماعيل بن محمد بن فرج بن اسماعيل ابن نصر الرئيس المتوثب على الملك وعلى كرسي الامارة ووزراء دولته وكاتب سره وشيخ الغزاة على عهده . وقد عثرت فيه على الفاظ ما كان يخيل لي ان الاندلسيين سبقونا الى استعمالها مثل طومارة للبطاقة وفي القاموس الطامور والطومر الصحيفة ج طوامير . ولفظة الممطر لما يعرفه الفرنسيس بالباردسو ذلك الرداء الطويل . واستعمل لفظة عائلة التي انكرها احد علماء اللغة المعاصرين فقال في ترجمة احدهم : عظيم العشة مبذول البشر عظيم المشاركة قديم العائلة . ووردت لفظة يخت في الشعر الاندلسي وكنا نظنها من قبل انكليزية ففي قصيدة لمحمد بن جزي الكلبي

نعم لست ارضى عن زمانٍ في اوارى مكاناً به السفن المواخر واليخت

الرجل وتاريخ الدول

لسان الدين بن الخطيب كتاب سماه رقة الحال في نظر الدول طبع في تونس نظم فيه ملوك المسلمين من لدن صاحب الرسالة « ص » الى القرن الثامن كل دولة على حدتها نظماً رائعاً ليس فيه تكلف شائبة وعلق على كل دولة شرحاً لطيفاً ضمنه ما ساعد عليه الاختصار من اخبار الملوك واحوال امتهم ووزرائهم . وفي هذا المختصر من الحقائق مالا يكاد يوجد الا في المطولات وخصوصاً في اخبار دول المغرب كبني الاغلب وملوك الشيعة من العبيديين بافريقية ومصر وبني امية بالاندلس وملوك الطوائف فيها ودولة المرابطين من لمتونة اهل اللثام والموحدين ودولة بني ابي حفص بافريقية وبني زيان بتلمسان وبني مرين وبني نصر وهاك نموذجاً منه في وصف ملك المأمون

وهو الشيك الحسام الحليم ساعده السعد تبا يروم
من بعد ما كابد امر عمه وفرّج الله به من غمه

فقرّ بالمأمون ملك الامة بعد اضطراب دائم وغمه
واشرق السعد على الخلافة واستدل الامن بلا مخافة
وكان حبرًا عالمًا حكيمًا عدلاً تقيًّا حازمًا حليمًا
وثار ابراهيم نجل المهدي ونازله قسرًا بغير عهد
فآثر العفو واغضى عن دمه منقبة شاهدة بكرمه
ومات في غزواته المعلومة كانت بها اعماله مختومة

معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار

هي رسالة طبعت حديثًا في فاس بمطبعة الدكتور احمد بمي افندي لمؤلفها لسان الدين ابن الخطيب جاءت في ٥٤ صفحة في اجمل حرف واجود ورق ولم ننقصها الاّ العناية بالتصحيح . وصف فيها المؤلف على طريقة السجع المنمق معظم بلاد المغرب والاندلس وصف منقيد بالسجع على طريقة السؤال والجواب فذكر جبل الفتح واسطبونة ومربلة وسهيل ومالقة وبلش وغارش والمنقب وشلوبانة وبرجة ودلاية والمرّية وبطرنش وبيرة ومحاقر وقتورية وبرشانة ولوربة وبلش وبسطة واشكر واندرش وشبالش ومدينة وادي آش وفتيانة والحمة وصالحة وانيرة ومنتفريد ولوشة وارجلانة وانتقيرة ودكوان وقرطمة ورندة وسبتة وطنجة وقصر كتامة واصيلا وسلا وآنفا وآزمور وتيط ورباط اسفي ومرّاكش واغمات ومكناسة وفاسًا ومدينة الملك وامرسلوين وسجلماسة وتازا وغساسة

فمما قاله في وصف فاس : هي الحشر الاول والقطب الذي عليه المعول والكتاب الذي لا يتأوّل بل المدارك والمدارس والمشايخ والفهارس وديوان الراجل والفارس والباب الجامع من موطأ المرافق ولواء الملك الخافق وثنور الماء الدافق وحشر المؤمن والمنافق وسوق النكاسد والنافق حيث البغي التي نظر اليها عطارد فاستجفاه وخاف عليها الوجود ان يصيبها بعينه الحسود فسترها بالغور واخفاها والاسواق التي ثمرات كل شيء اليها قد جبيت والموارد التي اختصت وحبيت والمنازه المخطوبة وصفاح الخلج المشطوبة والغدر التي منها ابوطوبه

بلد اعارته الحمامة طوقها وكساها ريش جناحها الطاوس
فكأنما الانهار فيه مدامة وكأن ساحات الديار كؤوس

اجتمع بها ما اولده ساء وحام . وعظم الالتئام والالتحام . فلا يعدم في مساكنها زحام فاحجارها طاحنة . ومخابزها شاحنة . والسنتها باللغات المختلفة لاحنة . ومكاتبها هائجة ورحابها متهائجة واوقافها جارية واطم فيها الى الحسنات واضدادها متبارية .

وقال في آنفا وهي التي سماها البرتغاليون في القرن السادس عشر الدار البيضاء : جون

الخط والاقلاع ومجلب السلاع تهوي اليها السفن شارعة وتبتدرها مسارعة تصارف برها الذهبي بالذهب الابريز وتراوح برها وتغاديه بالتبريز

تسقط الطير حيث ينتقط الحـ ـب وتغشى منازل الكرماء

وخارجها يفضل كل خارج . وقائمها يجمع بين طائر ودارج . وفواكهها طيبة . وامطار عصيرها صيبة . وكيلها وافر . وسعرها عن وجه الرخاء سافر . وحبرتها لا تنقطع ذا خف ولا حافر . لكن هواؤها وماؤها عديما الصحة . والعرب عليها في الفتن ملحة . والامراض بها تعيث وتعبث . والحزين بها لا يلبث

صفوة العرفان في تفسير القرآن

اهدانا محمد فريد افندي وجدي صاحب مجلة الحياة نسخة من مقدمة تفسيره هذا التي فيها على موجز من فلسفة الاديان وادوار الانسان في الاستسلام للعقيدة او التردد فيها وعلاقة ذلك بالجهل والعلم والحضارة والبداوة وذكر فصولاً في الوحي والنبوات وخوارق العادات والشؤون الروحية وتاريخ القرآن من حيث وحيه وجمعه وترتيبه وناسخه ومنسوخه وتعدد قراآته كل ذلك بعبارة سهلة تدل على فضل المؤلف وقد استشهد بآراء علماء المشرقيات في الكتاب العزيز واهل الاسلام فزادت بذلك فائدة هذه المقدمة التي وقعت في ١٨١ صفحة كبيرة فنهنئه على نشاطه الذي يرينا كل حين اثرًا من آثاره . ومما عربه عن المسيو جول لابوم في مقدمة فهرسته الذي جمع فيه الآيات المتشابهات قوله في حالة العالم قبل البعثة النبوية : « كان جو العالم في حوالي ميلاد محمد (صلى الله عليه وسلم) في القرن السادس الميلادي متلبدًا بغيوم الاضطرابات والفتن فكان شعب الوزيغوت الاريون في اسبانيا وفرنسا الجنوبية يصادقون الملك كلوفيس واولاده الكاثوليكيين فكانوا من اجل ذلك يطلبون مساعدة امبراطور مملكة الرومان الشرقية المدعو جوتسنيانس ثم اضطروا الى الدخول معه في حرب جديدة تخلصًا من سلطة القواد الذين جاؤوهم بتلك المساعدة فقد كانوا يزعمون ان لهم حق الفاتحين لا ولاء المساعدين المحامين

« اما في فرنسا نفسها فكان اولاد كلوفيس هذا متغادرين متقاتلين وكانت الحروب التي شبت نيرانها بين المملكة الوزيغوتية برونهو والمملكة الفرنكية فريدیجوند تبيد للتاريخ اشد العجائف اثارة للاسى والكمد . وكان الانجلو في انكلترا ينازعون السكسونيين الارض التي احتلوها واستعبدوا فيها ذرية كيمريس وهم اقدم المغيرين على تلك الجزيرة التي تتطلع اليوم للوقوف في مقدمة الامم علماً وصناعة وقوة وهي التي كانت في ذلك الوقت مجالاً للقوة الوحشية السائدة في تلك الغياهب الحالكة .

« اما في ايطاليا فكان اسم الرومان وهو ذلك الاسم الشامخ قد فقد موقعه القديم وكانت رومية وهي الشظية الاخيرة او رأس ذلك التمثال الكبير المتهشم (يعني مملكة الرومان) في حالة تحلها من استحالة امرها الى مركز ديني بسيط ترتج وتضطرب كما الم بها طائف من ذكرى عظمتها القديمة ايام كانت مركزاً دينياً اصلياً فكانت تهيء نفسها لان تكون مركز البابوية وهي تلك السلطة الزمنية كما اقتضت سياسة شارلمان ان يجعلها كذلك بعد قرنين من الزمان ولكنها مع ذلك لم يسعها حمل نير الميروليين والاستر وغوتيين وامبراطورة المملكة الرومانية واللومبارديين الذين تداولوا السلطة عليها تداولاً

« اما مملكة اليونان التي كانت قد نشيت مجدها القديم فكانت تابعة لمملكة الرومان الشرقية ممثلها منها كمثل الزينة ذات الضوضاء . وكان شرق اوروبا مقلقاً جنوبها من اول مصب نهر الرون من جهة الغرب الى مصب نهر الطونة « الدانوب » من جهة الشرق فكان الاسكندينافيون والنروجيون والدانيماركيون يتزاحمون في الطريق الذي كان سلكه الغوط والهونيون الذين احتلوا تراسيا ومكدونية ولمبارديا وايطاليا بالقوة او بالخديعة . في ذلك الوقت بدأ ظهور الاتراك من اعماق آسيا الصغرى وهي تلك الامة التي قصرت فيما بعد مملكة اليونان على اسوار القسطنطينية

« التصوير البديع الذي جادت به قريحة المسيو رينان لبيان مركز الامبراطورية الرومانية في القرن الاول من التاريخ المسيحي لا علاقة له البتة بالتصوير الممكن عمله لتجلية حال اوروبا في القرن السادس : تلك كانت مفاسد قيصرية مختمرة اما هذه فوحشية حربية تلعب بالارواح وتتمرغ في الاوحال .

« اما آسيا فلم تكن اهدأ بالاً من اوروبا في شيء : فمملكة التبت والهند التي اقتبست منها الامم السائدة في اوروبا الآن قرائحها وافكارها العامة ولغاتها . والصين التي تعد مسألتها اغرب المسائل السياسية والفلسفية وبالجملة اغرب المسائل الاجتماعية كانت كلها ممزقة الاحشاء بالحروب الداخلية والخارجية المتضاعفة بالمنازعات الدينية

« اما السنخ الشمالي من الهضبة الآسياوية العالية التي هي في حوزة روسيا الآن فكانت غير معروفة على الاطلاق واما مملكة الفرس التي كانت احوالها مرتبطة باحوال الغرب خصوصاً من لدن حملة الاسكندر المكدوني فكانت مشتبكة في حرب مع اليونان الرومانيين في القسطنطينية الذين كانوا اصحاب السلطة على آسيا الغربية . واما في افريقية فكان هؤلاء اليونان الرومانيون الشرقيون وهم الحائط من ذكر وتجار وحكام مجموعون من آفاق مختلفة — دالين على متصاعر ذه القطر المصري ومستولين على جزء مصر العليا ذات

المجد القديم كالجثة المصبرة لا حركة فيها ولا حس وكان هذا شأنهم في الاقاليم الخصبة يومئذ في الجهات الشمالية من افريقية التي انتزعوها من ايدي الفنداليين »

كتاب الحيوان

لا مجال هنا للكلام على هذا الكتاب الجليل الذي احياه بالطبع محمد الندي السلمي المغربي كما احيا كثيراً من كتب مؤلفه الجاحظ والمدونة للامام مالك وغير ذلك بعد ان تكلمنا في المجلد الاول في فضل الجاحظ ومزية كتبه بما لا نرى الآن في اعادته كبير امر اما الآن فنزف البشرى الى عشاق العلم والادب ان قد تم الجزء الخامس والسادس والسابع من كتاب الحيوان وبه تم هذا السفر البديع الذي لم ينسج كاتب على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله فتمت بذلك فائدة جعبة علم وادب بل خزانة كلها منافع حيثما قلبت طرفك منها تسقط على ما تقرّ به عينك وتشرح به صدرك وتحلي به عقلك وها نحن اولاء ننقل هنا للتسلية فائدة نأخذها بالعرض من ألوف الفوائد في اسماء لعب الأعراب قال الجاحظ : النقيرا وعظيم وضاح والخطوة والدارة والشحمة ولعبة الضب فالنقيرا ان يجمع يديه على التراب في الارض الى اسفله ثم يقول لصاحبه اشته في نفسك فيصيب و يخطيء . وعظيم وضاح ان تأخذ بالليل عظماً ابيض ثم يرمي به واحد من الفريقين فان وجده واحد من الفريقين ركب اصحابه الفريق الآخر من الموضع الذي يجدونه فيه الى الموضع الذي رموا به . والخطوة ان يعدوا مخراقاً ثم يرمي واحد منهم من خلفه الى الفريق الآخر فان عجزوا عن اخذه رموا به اليهم فان اخذوه ركبوهم . والدارة هي التي يقال لها اخراج . والشحمة ان يمضي واحد من احد الفريقين بغلام فيلتحمون ناحية ثم يقبلون و يستقبلهم الآخرون فان منعوا الغلام حتى يصيروا الى الموضع الآخر فقد غلبوهم عليه ويدفع الغلام اليهم وان هم لم يمنعوه ركبوهم وهذا يكون كله في ليالي الصيف عن غب ربيع مخصب . ولعبة الضب ان يصور واالضب في الارض ثم يحوّل واحد من الفريقين وجهه ثم يضع بعضهم يده على شيء من الضب فيقول الذي يحول وجهه انف الضب او عين الضب او ذنب الضب او كذا وكذا من الضب على الولاء فان اخطأ ما وضع عليه يده ركب وركب اصحابه وان اصاب حوّل وجهه الذي كان وضع يده على الضب ثم يصير هو السائل .

تقرير اللورد كرومر

صدرت الترجمة العربية من تقرير معتمد انكلترا في هذا القطر سابقاً عن الحالة المالية والادارية والحالة العامة في مصر وفي السودان سنة ١٩٠٣ مترجماً في ادارة المقطم ومطبوعاً

في مطبعته وهذا آخر تقرير للورد كرومر ضمنه حقائق كثيرة عن مصر والسودان وتكلم فيه كلام السياسي والاجتماعي الذي يخدم امته بالذات وغيرها بالعرض وجاء في ٢٤٨ من قطع الثمن وبحرف كهذا الحرف . وقد سبق لنا نشر شيء منه عن حالة المعارف عند صدور النسخة الافرنسية منذ بضعة اشهر وتقرير العميد السالف من خير الكتب الاجتماعية والادبية في حياة مصر فهي حرية بان لا تخلو منها مكتبة

نخب لغوركي

سليم افندي قبعين ممن اتقنوا اللغة الروسية وترجم بعض كتب لمشاهير كتابها منها كتاب حقوق المرأة في الاسلام وانجيل تولستوي ومذهب تولستوي وقد ترجم مقالات لمكسيم غوركي الكاتب الشاعر الاشتراكي الذي كان له اثر مهم في نهضة روسيا الاخيرة فاستفدنا منه الوقوف على اسلوب هذا الكاتب الذي رفعت امته قدره ورفع هو قدرها ومن لنا بعشرة ينقلون للعربية من الروسية والالمانية والايطالية ما يغنينا فان من اعظم النقص في النهضة العلمية المصرية الحديثة ان لا يكون فيها تراجمة ينقلون الينا ماتمس اليه الحاجة من آداب تلك الامم واخلاقهم وآثار علمهم لان ما يترامى الينا عن طريق الفرنسيس والانكليز لا يساوي ما نأخذه عن تلك الامم نفسها .

تهذيب الشبيبة السورية

اخذنا التقرير السنوي الرابع لهذه الجمعية النبيلة المقصد وفيه خلاصة اعمالها من اول تموز سنة ١٩٠٦ الى مثله من سنة ١٩٠٧ فكان مجموع دخلها ١٩٧٥٣ غرشاً ومجموع ما انفقته ٨٠٣٥ غرشاً انفقته على شبان لا يستطيعون ان يتعلموا لضيق ذات يدهم وما زالت تنفق على بعض نابغة الذكاء . والقائمون بهذا العمل فئة من افاضل المتخرجين من المدرسة الكلية الاميركية جزاهم الله خيراً .

حديث البلبل

هي محاورة ادبية خيالية وكلمات وعظية لمحمود افندي رمزي وقعت في ٤٨ صفحة صغيرة .

الابيض والاسود

هي احدى روايات فيكتور هوغو عربها لمسامرات الشعب نقولا افندي رزق الله بسلاسة تعريبه ونقله فنشرتها تتمة لسنتها الثالثة وقد اعلنت ادارة هذه المجلة القصصية الفريدة في بابها انها ستصدر في سنتها الرابعة في ٤٤٠ صفحة صغيرة مرتين في الشهر اي في ٨٨٠

صفحة في السنة وقد حسنت ورقها وطبعها وزادت قيمة اشتراكها الى خمسين قرشاً رغي همة تذكر لصاحبها خليل بك صادق الذي عرف ذوق الجمهور وخدمه بهذه الروايات الادبية وقد صدّر المعرب روايته بثلاث قصائد في وصف عوض الاولى لاحمد بك شوقي والثانية لحافظ افندي ابراهيم والثالثة من نظمه وقد جاء في الاولى :

ثأر الملوك وظل عند ابائه ... يرجو ويؤمل عفوه المنشور
واعار «وترلو» جلال يراعه ... فجلال ذاك السيف عنه قصير
ياايها البحر الذي غمر الثرى ... ومن الثرى حفر له وقبور
انت الحقيقة ان تحجب شخصها ... فلها على مر الزمان ظهور
ارفع حداد العالمين وعد لهم ... كيما يعيد بائس وفقير
وانظر الى البؤساء نظرة راحم ... قد كان يسعد جمعهم ويجير
الحال باقية كما صوّرتها ... من عهد آدم ما بها تغيير
البؤس والنعمى على حاليهما ... والحظ يعدل تارة ويجور
ومن القوي على الضعيف مسيطر ... ومن الغني على الفقير امير
والنفس عاكفة على شهواتها ... تأوي الى احقادها وتثور
والعيش آمال تجد وتنقضي ... والموت اصدق والحياة غرور

ومما جاء في الثانية :

عاف في منفاه ان يدنو به ... عفو ذاك العاثل المغتصب
بشروه بالتداني ونسوا ... انه ذاك العصامي الابي
كتب المنفي سطراً الذي ... جاءه بالعفو فاقرأ واعجب
ابريء عنه يعفو مذنب ... كيف تسدي العفو كف المذنب
جاءه والاحلام في اصفادها ... مالها في سجنها من مذهب
طبع الظلم على اقفالها ... بلظاه خاتماً من ذهب
وانبرى يصدع من اغلالها ... باليراع الحر لا بالقضب
هاله ان لا يراها مرة ... تتنطي في البحث متن الكوكب
ساءه ان لا يرى في قومه ... سيرة الاسلام في عيد النبي

***

قلت عن نفسك قولاً محكماً ... لم تشبه شائبات الكذب
ان كالنجم نبي وثرى ... فاطرحوا تبري وصونوا ذهبي

ويجاء في الثالثة :

الا هل اتى اقوامنا ان دولة تدول اذا ما شاعر قام منشدا
اغار على رب السرير بشعره وضعضع ملكاً ظنه الناس سرمدا
وكانت قوافيه جيوشاً تزودت حياة وموتاً للاحبة والعدى
تولى بريد الدهر للناس نقلها وانشدها في الخافقين مرددا
ولم يبق في ارض الفرنسيس غير من يقوله بالفض او يحفظ اليدا
فعاد الى اوطانه غير ناقم على غربة اولته ذكراً مؤبدا
واعلاه اقدار الرجال وخفضها اضل واشقى الشرق والغرب اسعدا

الانتقام

قصة بقلم ناصيف افندي نقولاوس والغالب انها مترجمة وان لم يذكر صاحبها ذلك . وهي في ١٩٢ صفحة متوسطة وتطلب من مكتبة الهلال ومكتبة الشعب

سير العلم

حقيقة السجون

كتب السيد هاملتون من رجال ادارة سجن مقاطعة مشيغان في الولايات المتحدة فصلا في « مجلة العالم الكبيرة » وصف فيه هذا السجن الذي هو مثال السجون الحقيقية التي يراد منها ان يجد الناس فيها ما يسيرون معه بعد مغادرتهم اياها على محور الاستقامة ويتركون ما الفوه مما يخالف ارتكابه القانون ويهدد اركان النظام والسلام ويجعلهم اعضاء اشلاء في جسم الامة قال : يقيم بين جدران هذا السجن سبعمائة نفس من اسوإ سكان المقاطعة خلالاً وهم مع هذا يعاملون على الجملة بشفقة وفم في سجنهم اخرية التامة . وبما انهم يعودون الاخلاق الكريمة فمن الممكن ان يبلغوا و يسموا بنفوسهم الى مراتب الامانة والاستقامة . ولا يسمح بجلد المذنبين في هذا السجن ويؤذن لهم بعد ظهر كل سبت بالتنزه احراراً مدة ساعة في ارض خضراء كثيرة الكلاء واذ كان هذا الامتياز الذي يناله المجرمون عرضة للالغاء ان نشأ عنه سوء فالمسجونون انفسهم يبالغون في الاحتراس من وقوع ما يؤخذ عليهم وعلى هذا فليس في السجن اكثر من ثلاثين حارساً وجميعهم لا يحملون بايديهم غير العصي فقط

ولا يسمح لهم بحمل اسلحة نارية داخل الحبس وتعرف المسجونين بسيماهم والبستهم فمن كان حسن الخلال يلبس رداء ازرق ومن لم يزل تحت التدريب على ذلك يلبس كسوة رمادية غير ان اولئك المذنبين الذين لم يصلحوا لقبول ذلك وقد جردوا من جميع الامتيازات التي ينالها الآخرون فهم يلبسون اردية خاصة بهم مخططة . ويبقى المسجون محبوساً ولا يطلق من سجنه حتى تصبح اخلاقه شفيعة بنيله ذلك . ويشترط قبل مبارحته السجن ان يتعرف الى احد يتكفل بان يبحث له عن عمل يحترف به ويراقبه ويسوغ للسجناء ان يتكلموا في السجن في خلال عملهم ولايجوز ذلك وقت تناولهم الطعام وعند ما يسيرون صفوفاً . ويسوغ لهم بعد ان يتموا ما يفرضه عليهم نظام السجن من الاعمال ان يعملوا ما شاؤا وما يربحونه من عملهم يكون لهم . هذا ويجيزون لهم ان يضعوا في غرفهم آلات الطرب وتأتي في الغالب جمعيات التمثيل التي تزور المدينة الى السجن فتمثل القصص على المسرح اللطيف الصغير الذي بناه المجرمون فيه . وهذه المعاملة بالشفقة والرحمة هي الوسيلة الوحيدة التي تتبع في هذا السجن من زمن قديم . ولقد شوهد ان التهذيب بالعنف والرهبة مهما سهل امره فهو مضر للغاية وميت الشعور من يعنى بتأديبه وتهذيبه .

انقراض الطيور

ينقرض في الغالب كل سنة نوع او عدة انواع من الحيوانات والطيور وهذا الانقراض آخذ في الزيادة والاسراع . وقد قال السيد ادورد فيفان من مقال نشر في الجريدة شامبر) الانكليزية انه كان في جزيرة سانت توماس من جزر الهند الغربية اربعة عشر نوعاً من انواع الطيور منذ قرن فانقرض الى الآن منها ثمانية انواع ومكث في افريقية الغاغة Quagga حتى سنة ١٨٦٥ ثم انقرض وانقرضت معه عدة انواع من طيور اخرى . وبادت من جزائر المحيط الهندي عدة انواع من طيور ثمينة القدر وقد انقرض الدودو Dodo في القرن السابع عشر وغاب عن الانظار الجاموس الاميركاني تقريباً من اميركا الشمالية .

فظائع الحروب

انشأ السيد كارل شوروز مقالاً بليغاً في احدى المجلات الانكليزية تكلم فيه عن وقعة جتسبرج وقد رأينا ان ننشر شيئاً مما كتبه في وصف ما يراه الناظر تبيدان القتال في اليوم الثاني لحدوث احدى الوقائع قال : لا افجع ولا ابشع من النظر الى جثث القتلى في ساحة الحرب وقد لبثوا يوماً او اكثر قبل ان يذوقوا حتفهم عرضة لاشعة الشمس المحرقة والاهواء الحارة . وقد تنكرت سحنتهم وانتفخت وجوههم واتسعت [illegible] وبرزت اعينهم وصارت

ثابتة في مكانها لا تتحرك وتبدلت هيئتهم حتى بعدوا عن ان يميزوا و يعرفوا وقد انفرد بعضهم وبقي غيرهم مرتبين صفوفاً ووقع آخرون بعضهم على بعض فكانوا اكواماً . وبدت على آخرين هيئة من يريد الراحة بالصلح وقد رفعت ايدي فريق منهم . وظهر آخرون في صورة الجلوس . واخذ نفر يركعون . وبقي بعضهم ينبش الارض بأظفاره . وقد تشوه كثيرون تشوهاً منكراً بينما كانت الحرب شديدة الوطيس وملك المنون يرفرف فوق الرؤوس .

امتلأت الديار ومحابس الحيوانات والمزارع بالانين و وضعت النضائد في فضاء الارض ومكث الجراحون واكمامهم مرفوعة الى مرافقهم . وسواعدهم المكشوفة «وكذلك وزراتهم» الكتانية مخضبة بالدماء وهم — الا قليلاً منهم — قابضون على اسلحتهم باسنانهم بينما يكونون معتمين بداواة جريح راقد فوق المنضدة او على مكان آخر او تكون ايديهم مشتغلة بعمل وهناك من خلفهم برك الدماء و بجانبها اكوام من السواعد والارجل المقطوعة مما يزيد ارتفاعه في بعض الاحايين عن قامة الانسان !

الجريح راقد على المنضدة وهو غالباً يصيح مما يقاسيه من الالم فيخف اليه الجراح ويفحص بسرعة جرحه ثم يشرع في بتر العضو الذي يؤذيه ويشير الى الخدم بالاستعداد لاحضار آخر . فيخرج سلاحه من « بين اسنانه » التي كان قابضاً عليه بها حين كانت يداه مشغولة ويمسحه بخفة مرة او مرتين في « وزرته » الملطخة بالدم ثم يبدأ بالبتر . فاذا انتهى من عمله نظر الى خلفه وتنهد تنهداً كثيراً صادراً من اعماق فؤاده ثم نادى : « غيره ! » ....

ويلفت نظرك ان ترى الجراح — وقد مضى عليه زمن طويل وهو يشتغل — نازعاً سلاحه من يده قائلاً والدموع الغزيرة تنهمل من عينيه انه لم يعمل عمله بثبات فان ما يشاهده تعجز عن رؤيته طاقة البشر . وترى كثيرين ممن جرحوا من المجاهدين يتحملون آلامهم وهم سكوت بجلد وسكون وجبينهم متجعدة واعينهم دامية . ثم يصل الى اذنيك صدى انين من فؤاد كليم واصوات من الالم منكرة تشق الفضاء وصريخ يائس قانط يقول : « ايها الورد ! » .. « ايها الورد ! » او « دعني اموت » . ثم تسمع اصواتاً ضئيلة تردد وتقول : « امي ... ! » او « ابي ... ! » او « وضني ... ! »

رعاية الاطفال

اسس السيد جرانشر عام ١٩٠٣ بباريز جمعية دعاها « جمعية وقاية الاطفال من داء السل » والعمل الذي تقوم به هذه الجمعية هو انها تبحث عن الاطفال المصابين بهذا الداء ثم تأخذهم وترسل بهم الى المزارع وهناك يعيشون في الهواء الطلق مع اسرات الفلاحين يعودهم جماعة من الاطباء تنتخبهم الجمعية

وقد انشئت مدرستان بفرنسا خارج المدن حيث يكون الهواء خالصاً نقياً فيدرس فيها التلاميذ المرضى ممن لا يوافقهم هواء المدن وهناك يعالجهم الاطباء . والآن يعملون في انشاء مثل هذه المدارس في المانيا حيث رأى الدكتور بندكس انشاء مدارس الغابات واول مدرسة منها فتحت ابوابها سنة ١٩٠٤ وكانت نتيجتها مرضية . ويتعلم في هذه المدرسة التلاميذ الرقيقو المزاج المصابون بالسل . ونظامها ان يذهب اليها التلاميذ كل يوم صباحاً في الساعة السابعة ونصف تقريباً مشاة على اقدامهم او في المركبات الكهربائية فاذا بلغوها تناولوا في الحال حساء سخيناً وقطعة من الخبز . وبعد ان يدرسوا الدرس الاول يتناولون قدحاً من اللبن وشيئاً من الخبز ايضاً . اما طعام الغذاء فيتألف من اللحم والبقول والبطاطا . وهم كذلك يتناولون عند الساعة الرابعة بعد الظهيرة لبناً وخبزاً . اما اجرة التعليم فالاغنياء ملزمون بدفعها عن اولادهم . وابناء الفقراء تدفع (البلدية) نفقاتهم . هذا وقد شيدت ملاجيء صحية كثيرة لاغلب البلاد الالمانية في الغابات يقضي فيها نهارهم من تمكنت منهم العلل والامراض

الطعام الصحي

كتبت السيدة ك . ايرل في العدد الاخير من مجلة (الشرق والغرب) الانكليزية مقالة صحية موضوعها (الطعام الصحي) صرحت بانها تذكر فيها ما يحصل به الانسان على القوة والصحة قالت :

احدث اكتشاف حار في لدورة الدم انقلاباً عظيماً في العلوم الطبية واني اعتقد انه سيأتي يوم لا ينكر احد فيه النظرية الطبية الجديدة وهي ان كثرة وجود الحامض البولي في الجسد بسبب الضعف وهذه الحال سواء في كل مناخ وهواء . واري ان الطعام الذي يخرج الحوامض البولية من الانسجة والعضلات والمفاصل يسهل شفاء المصابين بداء النقرس او المفاصل او المصابين بآلام عصبية .

ويكفي ان يتناول الانسان الطعام في اليوم ثلاث مرات . وخير لمن يحب ان يغير دائماً الاطعمة التي يتناولها ساعات الاكل ان يسير على النظام الآتي : —

اولاً { الشاي والقهوة وحساء اللحم
تبدل بانواع اللبن والحليب والماء وحساء مع اللبن

ثانياً { طعام الصباح : — اللحم والبيض والسمك
تبدل بالثريد والخبز المحمص والبقسماط وحبوب الدقيق ونحو ١٠٠ او ١٣٠ درهم لبن وشيء من البندق

ثالثاً — ما يتناول بين طعام الصباح وطعام الظهيرة : — السمك واللحم يبدلان بالخبز المحمص والبقسماط وحبوب الدقيق والطعام المركب (طعام يتكوّن من البيض والدقيق واللبن وغيرها) ومائة درهم من اللبن واوقية انجليزية من الجبن

رابعاً — طعام الظهيرة : — السمك واللحم يبدلان بالخبز المقدد والبقسماط وحبوب الدقيق والطعام المركب وصحنة من الجبن ومائة درهم من اللبن

قالت الكاتبة : ومن اهم البواعث التي تسبب القابلية للاكل ان يكون الانسان تعباناً او يكون قد عمل شيئاً نشط به جسمه .

١٠ ز ١٠

الهجرة الطليانيه

كتب احدهم في مجلة المسائل الدولية الاستعمارية الفرنسوية مقالاً في هجرة الطليان جاء فيه انها تزيد سنة عن سنة ويؤخذ من الاحصاآت الرسمية ان عدد المهاجرين سنوياً بين سنة ١٨٩٥ — ١٩٠٠ كان حوالى ثلثمائة الف فاصبح من سنة ١٩٠١ الى ١٩٠٤ نصف مليون كل سنة وارتقى سنة ١٩٠٦ الى ٧٨٧٩٧٧ مهاجراً ومعظمهم من الفلاحين والمهاجرون من الذكور على نسبة ٨١ في المئة و١٩ من الاناث والمهاجرون في الاكثر هم سكان الجنوب وينزلون اميركا كما يهاجر سكان شمالي ايطاليا الى اقطار اوروبا فقط ليقتنوا فيها . وقد بحث علماء الاجتماع من الطليان في نفع الهجرة لبلادهم او عدمها ولم يبتوا لهم رأياً بعد . وشوهد ناس من اهل الطبقة الوسطى اباعوا اراضيهم وانقلبوا الى بلاد اخرى يرتاشون فيها ويتأثلون وهذا ما ينسب الى قلة التناسب المتزايد بين وسائط الحياة التي تقل وحاجياتها المتكاثرة . ومن الاسباب التي ذكروها في مضار الهجرة ان عدد العجزة في ايطاليا خف عن ذي قبل ولكن لم تعد تنمو سكان البلاد في العشر سنين الاخيرة على نسبة نموّها من قبل وذكروا من حسناتها انه قل عدد البطالين وارتفعت اسعار ايجار الاراضي وترقت اثمانها بما جاء به بعض المهاجرين لدن عودتهم الى بلادهم من الاموال كما زادت ثروة ايطاليا بما يغدق عليها ابناؤها المهاجرون من مهاجرهم . وقد جاء في ذلك التقرير ان للهجرة يداً في ايطاليا منذ ثلاثين سنة في ارتقاء ايطاليا الاقتصادي وهو مادة ارتقائها التجاري

اجتياز البحار

يتحدثون الآن في الاندية الصناعية والعلمية في اجتياز المسافة بين اوروبا والولايات المتحدة في اربعة ايام . وقد ادعى مهندس اميركي انه يقطع في باخرة جديدة انشأها حديثاً ثلاثين عقدة في الساعة وكانت باخرتان المانيتان وهما من آخر طراز يقطعان ٢٣ عقدة . ولم تكن البواخر تقطع لاول اختراعها سوى ٩ عقد في الساعة ثم تدرجت حتى وصلت الى ٢٣ عقدة وهاهي اليوم قد بلغت او كادت الثلاثين على ان المسافة تجتاز بين اميركا واوروبا في خمسة ايام وبضع ساعات . اما الباخرة الجديدة فتحمل من عشرين الى ثلاثين الف طن وآلتها بقوة ثلاثين الف حصان ووزن الآلة المحركة يبلغ مائتي طن واذا أُضيف اليه عدّاد الغاز فيكون خمسمائة طن ويقتضي ٨٥٠ طناً من زيت البترول الخام لاجتياز مسافة مائتي ميل ما عدا الوقود ولا يخرج منه دخان

اوراق السفر

رأى بعض الباحثين ان عمال السكك الحديدية يأخذون الاوراق من المسافرين ليقطعوها ويعيدوها اليهم وربما احيوا العجلة فقطعوها بريقهم مما لا يخلو من نقل جراثيم الامراض ورأوا ان احسن طريقة في هذا الباب هي التي سارت عليها بعض شركات السكك الحديد في سويسرا فانها تجعل الاوراق اضبارة واحدة وتقطعها كما تقطع الطوابع بادنى مس باليد .

المدارس في مصر

احصى مدير الاحصائيات في مصر عدد المدارس الوطنية والاجنبية في هذا القطر فكانت ٢٠٠ مدرسة مصرية فيها ٢٧٥٣٤ من البنين و٣٨٩٢ من البنات و٢٠ انكليزية فيها ١٤١٥ تلميذاً و٦١٩ تلميذة و١٣٠ اميركية فيها ٧٠٤٤ تلميذاً و٢٠٥٣ تلميذة و٩ نمساوية فيها ٨٨١ تلميذاً و٥٠ تلميذة ومدرستان هولانديتان فيها ١٤٢ تلميذاً و٣٦ تلميذة و٨٥ مدرسة فرنسوية فيها ٨٦٤٥ تلميذاً و٦١٤٠ تلميذة واربع مدارس المانية فيها ٢٣٣ تلميذاً و٤٤٦ تلميذة و٢٩ يونانية فيها ٣١٠٨ تلاميذ و١٣٦٣ تلميذة و٣٥ ايطالية فيها ٢٣١٤ تلميذاً و٣٣٣٨ تلميذة ومدرسة روسية واحدة فيها ٤٧٥ تلميذاً

وصية للعلم

اوصى المانيّ بمئة الف مارك لينفق ريعها على تلميذ ذكيّ من المدارس العثمانية العالية ينجز دروسه في المانيا .

جماجم المصريين

ظهر للاستاذ اليوت سميث معلم التشريح في مدرسة الطب بالقاهرة من البحث في المومياء المصرية ان جماجم قدماء المصريين كانت رقيقة وان القسم الخارجي منها هو على الجملة من الخفة على ما يعجب منه الناظر على ان تجويف الجمجمة لم يصب ضرر ولا تظهر فيه نحافة حيث كانت العضلات . وقد شاهد ذلك في اهل السلالة الرابعة الى اهل السلالة الرابعة عشرة خاصة ولم يجدها فيمن كان قبلهم او بعدهم وقد تبين مما قام به الاستاذ ماسبرو وغيره من علماء الآثار المصرية من الحفريات ان اهل الطبقات العالية في الامة المصرية كانوا يضعون على رؤوسهم شعوراً مستعارة فنسب العلماء نحافة رؤوسهم لثقل تلك الشعور وذلك لان الاستاذ اليوت سميث لم يشاهد هذا الضعف الا في جماجم اهل الغنى والثراء من تلك السلالات ولا يقدح في ذلك ما ألفه الفلاحات من حمل اشياء ثقيلة على رؤوسهن على ان جماجمهن سالمة من العيوب فان الضغط الموقت لا يؤثر في الجماجم كما يؤثر فيها الضغط الدائم من مثل الشعور وغيرها . والمسألة ما برحت موضع النظر

خارطة الولايات المتحدة

شرعت حكومات الولايات المتحدة في رسم مصوَّر لتلك البلاد لم يعهد مثله حتى الآن في رسم الارض فاخذت كل ولاية تقيس وتمسح وتذكر ما جد من القرى والدساكر والمدن ويقولون ان حكومة الاسكا تجتهد من وراء الغاية في رسم بلادها لتضمها الى خارطة تلك البلاد مع ان القسم الاعظم منها لم يكتشف بعد . وناهيك بما يقتضي ذلك من النفقات في بلاد هي في مساحتها كأوروبا او اكثر ويقال ان هذا العمل يكلف اميركا مليوني فرنك اي من ٧٥ الى ١٠٠ فرنك في كل كيلومتر مربع ولا ينجز قبل سنة ١٩٠٩

التعليم في فرنسا

تنفق فرنسا على التعليم العالي في ست عشرة كلية ثلاثة عشر مليوناً وثمانمائة الف فرنك وقد كان مجموع الطلبة في هذه المدارس الجامعة سنة ١٩٠٦ — ٣٥٦٧٠ تلميذاً وزاد منذ عشر سنين نحو عشرة آلاف طالب وكان الاساتذة اذ ذاك ٥٩١ فصاروا الآن ٨٠٠

الرخص والعلم

لئن ارتفعت اثمان الحاجيات منذ خمسين سنة لكثرة النقود فقد كان من تأثير العلم ان رخص كثيراً من المواد الصناعية بفضل ادخار التحسين في ادواتها فنزل سعر المتر الواحد

من المرايا نحو الثلثين ونزل سعر الحامض الكبريتي الى النصف والصودا الى ثلاثة ارباع وقد استفادت الزراعة والصناعة من هذا الرخص فائدة كبرى

نساء اليابان والالمان

منذ عهد غير بعيد تضاعف عدد مدارس الاناث في اليابان فاصبح المتخرجات منها يتعاطين التدريس او المحاماة او الكتابة . وانك تجد في جميع امهات المدن اليابانية اندية للنساء وقد اخذ بعضهن ينشرن في طوكيو الآن جريدة سميتها « المرأة في القرن العشرين » تتولى ادارتها « اوتا ايمي » الكاتبة الاشتراكية المشهورة التي احكمت الانكليزية كما احكمت لغتها فصارت الصحف الاميركية تتلقى مقالاتها بالقبول كما تتلقى مقالات كبار الكتاب من الانكليز . وما برح النساء في المانيا يطالبن بقبول البنات المتعلمات في العشر كليات الالمانية التي بقيت حتى الآن ابوابها في وجوه البنات وقصرت تعليمها على البنين والغالب انهن ينلن بغيتهن كما نلنها في كليات بافاريا مثل كلية مونيخ وارلانجن وورتزبورغ وفي دوقية باد ككلية فريبورغ وهايدلبرغ وتوبنغ وفي امارة تورنغ ككلية ايناوفي امارة ساكس ككلية ليبسيك . وقد طلب ١٦٠ استاذاً من اساتذة الكليات الالمانية الى الحكومة ان تسمح بحرية الدخول للبنات في مدارس الصبيان . وينقسم الطالبات في المانيا الى طالبات طب وطالبات فلسفة وطالبات علم اصول اللغات وطالبات تاريخ . فمتى يطلب نساؤنا ياترى حقوقهن من التعليم الابتدائي المنظم فقط

الشعب النظيف

يرى الدكتور ماتينيون الفرنسوي وهو ممن اقام مدة في الشرق الاقصى ان النظافة عند ابناء يابان كادت تكون من الايمان فيرى اليابانى ان الاستحمام كل يوم من الضروريات كتناوله قدح الارز . وقد اثبتت الحرب الروسية اليابانية الاخيرة شدة تعلق هذه الامة بالنظافة فكان الجند في معسكراتهم يستعملون جرارًا صينية كبرى من الفخار المطلي يجعلونها تحت اديم الارض ويتخذونها مستحماً لهم . ولكل جندي في جعبته فرشة لتنظيف اسنانه وذرور لها لان الياباني يعنى باسنانه كل العناية ويتمضمض مرات عديدة في اليوم . وقد عجب الاطباء الاوروبيون من تنطع اليابانيين في النظافة الى هذا الحد كما ثبت لهم ان من كل خمسة جنود من الاوروبيين يموت اربعة من الامراض وواحد قتلاً اما من ابناء يابان فان في خمسة قتلى يموت واحد منهم من الامراض